١٠٣٥
دار م. النحاس
1035
HARLEQUIN
سلسلة قصص و روايات حب

درهم الحظ

اليزابيت أوغست

www.liilas.com

درهم الحظ

اليزابيت أوغست

www.rewity.com

قال زيد وهو يقبض على ذراع سيلينا مما جعلها تتوقف فجأة: «قد لا يكون هذا زواجاً للأسباب التقليدية، إنما عندك جيران تقليديي التفكير».

وعندما بلغا الباب، أوقفها زيد على قدميها ليفتحه، ثم عاد يحمل عروسه متخطياً بها العتبة.

وعادت أنفاس سيلينا تتوقف في صدرها بانتظار أن يحسنها زيد ويعود بها إلى غرفة النوم المشتركة.

درهم الحظ

اليزابيت أوغست

كان كل ما تتمناه سيلينا وارلي، في عالمها الصامت، هو طفل. ولكن، في مدينة صغيرة مثل سميثشاير، ماساشوستس، يفترض في الطفل أن يكون له أب، كما أن المرأة يفترض أن يكون لها زوج. وقد راودتها التمنيات زمناً إلى أن حدث وعثرت سيلينا على قرش في التراب جلب الحظ إليها ليقدمها إلى الدكتور ريد بريسكوت.

لقد علم ريد أن المدينة إنما تريد طبيباً متزوجاً زواجاً دينياً ولكن المشكلة كانت في أنه معقد نفسياً من الزواج. وأخيراً، وجد الحل في مشكلة سيلينا، ومن ثم كان الإتفاق بينهما الذي بدا أنه المناسب تماماً.. إلى أن تحول حظه، ليقع في الحب.

www.rewity.com

اليزابيت أوغست

تقول، وهي المتزوجة منذ خمس وعشرين سنة، إذا كان علي أن أختار أهم نواحي حياتنا الزوجية فهي، بالنسبة إلي، صداقتنا. إن مساندة زوجي وتشجيعه ساعداني في أشد الأوقات صعوبة. وأحب أن أفكر في أنني أنا أيضاً منحته مساندتي عند حاجته إليها. ونحن، كأصدقاء أوفياء، يعرف الواحد منا نواحي القوة في الآخر ويعجب بها. إنه متفائل بينما أنا متشائمة. وهو هادىء صبور مع الحياة، بينما أنا عموماً، نزقة. وفي النهاية، نرى أن الواحد منا يكمل الآخر في حالة رائعة من التوازن.

«إنه ليس دائماً يقول الشيء المناسب في الوقت المناسب.. ولكن، المهم هو أنني أعرف أنه يسعى إلى ذلك. هذا وإنني لأحلم باستمرار حياتنا هذه خمساً وعشرين سنة أخرى.

www.rewity.com

الفصل الأول

عرف الدكتور ريد بريسكوت بشخصيته القوية، وكرهه الشديد للمشعوذين الذين يمتهنون مداواة الناس. وقد فوجىء كثيراً حين علم بوجود واحدة منهم في بلدة ماساشوستس الصغيرة الهادئة. رغم أنه فكر فيها أكثر من مرة إلا أنه تجنب لقاءها حتى هذه اللحظة. حين أوقف سيارته أمام منزل سيلينا وارلي بعد ظهر أحد أيام أغسطس/آب الحارة، رآها جاثية على قدميها وظهرها له مباشرة، حيث انهمكت بقلع الأعشاب الضارة من حديقتها الصغيرة داخل سور منزلها.

رأى شعرها الكستنائي الكثيف وقد صففته في ضفيرة تناثرت منها خصلات رقيقة، بللها العرق فالتصقت برقبتها. ونقل نظره بسرعة إلى قميصها القطني الرقيق الضيق الذي التصق بجسدها من شدة الحرارة ومن جلوسها القرفصاء للعمل في الحديقة، وإلى سروالها القصير وحذائها الذي بدا قديماً.

أدرك على الفور أنه ـ إذا استدارت ـ سيرى وجهاً لطيف الملامح وجسداً متناسقاً بخصرها النحيل. ثم تذكر كيف شعر بالإنجذاب نحوها حين رآها لأول مرة صدفة في الطريق.

«إنها سيلينا وارلي.» قال له حينها الدكتور تيودور جايمس، وهو يلاحظ نظرات ريد نحوها: «هذه هي أمينة المكتبة. والمداوية الشافية في بلدتنا.»

ضحك الدكتور جايمس بخفة حين أكمل جملته الأخيرة، لكن ريد أدرك فجأة أن سيلينا هي ضمن لائحة الأشخاص الذين يجب أن يبقى بعيداً عنهم. وقد عرف أثناء إقامته في «سميثشاير» أن سيلينا والدكتور جايمس صديقان. إلا أن ريد بريسكوت لم يكن ينوي إطلاقاً التعرف إلى السيدة، على الرغم من تفكيره فيها أحياناً.

اجتاز بوابة السياج الأبيض إلى فناء كبير لمنزل مكون من طابقين من الطراز القديم. اقترب منها لكنها لم تستدر نحوه، رغم أن المسافة بينهما لم تتجاوز المترين. فبدأ غيظه يشتد مع كل خطوة. وقف فجأة واضعاً يديه خلف ظهره، وراح يتأمل ظهرها بذهول. قال لها بنبرة حانقة: «لا يحق لك ممارسة الطب من دون إجازة.»

ازداد غضبه حين رآها تكمل عملها في الحديقة وكأنه غير موجود خلفها، فقال وهو يحاول كبت غضبه: «أنت لا تملكين الجرأة على مواجهتي.»

«إنها لا تستطيع سماعك.» نظر ريد حوله ليرى صبياً أشقر الشعر، قادماً نحوه من زاوية المنزل. وعرف على الفور أنه جوش سوير. من الواضح أن الصبي يعمل في حديقة أخرى، لأنه يحمل مجرفة صغيرة. ثم قال جوش وقد رأى ملامح ريد القلقة: «إنها صماء، لكنها ماهرة في قراءة الشفاه.»

فقال ريد: «صماء؟» لقد سمع الكثير عن سيلينا أثناء إقامته في البلدة لكن أحداً لم يذكر له ذلك.

هز جوش رأسه قائلاً: «حصل ذلك في حادث تحطم الطائرة أدى إلى مقتل والديها.»

ارتسمت على وجه ريد مسحة من الأسى والشفقة على

www.rewity.com

هذه المرأة. ثم اختفى هذا الشعور فجأة، إذ ليس من حقها تعريض حياة الناس للخطر. اقترب منها أكثر ووضع يده على كتفها.

انتفضت سيلينا مذعورة وكأن صدمة كهربائية أصابتها. لا بد أن جوش جرح نفسه. استدارت وهي تتوقع رؤية يد مضرجة بالدماء. إلا أنها وجدت يداً سليمة لم تكن يد جوش اليافعة. إنها يد رجل أصلب وأقوى بكثير. انتقلت أنظارها إلى الشخص الواقف قربها، لتجد وجه الدكتور بريسكوت الغاضب.

لم تلتق به من قبل، لكنها أدركت من هو بسرعة. فالناس تعرف بعضها البعض جيداً في هذه البلدة الصغيرة. وبذلك يصبح أي قادم جديد إليها موضوعاً لحديث الناس وثرثرتهم. خاصة إذا كان القادم طبيباً شاباً مثله. لقد تناقل الناس أخباره منذ وصوله إلى البلدة وعرفوا أنه عاش حياته في مدينة نيويورك، وأنه مارس تدريبه الطبي في أضخم مستشفياتها. ولكن، منذ وصوله إلى البلدة انتابها شعور غريب بأنه يحاول تجنبها. لم تكن تدرك السبب. ورغم المسافة بينهما إلا أن وجوده كان يؤثر على أعصابها بطريقة غريبة. والآن ها هو ذا يقف أمامها يحملق فيها وكأنها اقترفت جريمة شائنة.

رجع ريد خطوة إلى الخلف عندما وقفت سيلينا على قدميها. لقد رأى تعابير القلق البادي على وجهها حين نظرت إلى كتفها. لا بد أنها تدرك خطورة الو ضع الذي سببته لديبورا رامزي. خطرت له هذه الفكرة وهو ينظر إليها ببرود شديد.

ابتعدت سيلينا قليلاً عنه، وهي تفكر في الأسباب التي تجعل ريد بريسكوت غاضباً منها. لكنها لم تملك أية فكرة. فهي متأكدة أنها لم تفعل ما يسيء إليه.

نظر إليها ريد وهو يتساءل إن كانت تتقن لغة الإشارات فعلاً. لقد قال جوش إنها تقرأ حركات الشفاه. لكن ريد رغب في التأكد من إدراكها لخطورة ما فعلته. ومن حسن حظه أنه تعلم لغة الإشارات للتعامل مع المرضى الصم الذين كان يواجههم في قسم الطوارىء، في المستشفى الذي تدرب فيه. بدأ يحرك يديه لتشكيل الكلمات التي يقولها: «كان يجب أن ترسلي ديبورا رامزي إليّ مباشرة. لقد عرضتها والجنين لخطر فادح. كان يجب أن أراقبها منذ بداية حملها.»

لم يقتصر غضبه من سيلينا على كلماته، بل بدا واضحاً في حركات يديه أيضاً. رفعت كتفيها باستقامة وكبرياء وقالت: «زارتني لأول مرة هذا الصباح، وقد طلبت منها التوجه فوراً إلى عيادة الدكتور جايمس أو إليك.»

رفع ريد حاجبيه. ليس لأنه لم يصدق كلامها، إنما تعجباً من وضوح لفظها رغم إصابتها بالصم. قال معلقاً على كلامها: «إنك تتحدثين بطريقة ممتازة، رغم عدم قدرتك على سماعي.» قال ذلك وهو يفكر في اللعبة التي تقوم بها هذه المرأة.

راقبت سيلينا حركات شفتيه. ومع أنها لم تسمع صوته، إلا أنها رأت الاتهام واضحاً في عينيه. «كنت في الخامسة عشرة من عمري حين وقع الحادث.» قالت له ذلك وهي

www.rewity.com

مرتبكة من دهشته لقدرتها على الكلام، ومن أسلوبه العدائي نحوها. فتابعت قائلة: «كنت أعرف الطريقة الصائبة للفظ الكلمات. وقد سعى الأطباء لتدريبي على عدم نسيان المعلومات.»

اضطر ريد للاعتراف بأن تفسيرها لمهارتها في الكلام منطقي جداً. وانقبض فكه أكثر وهو يدرس ملامح المرأة الواقفة أمامه. رأى خصلات شعرها وقد لمعت ببريق أحمر تحت أشعة الشمس الساطعة. ووجد نفسه يفكر بجمال لون عينيها البنيتين الذي لم ير مثله من قبل. إنها لطيفة المظهر ولكنها خطرة أيضاً، فقد لاحظ الغضب البادي على وجهها. ولطخة طين حديثة على خدها أعطتها مسحة غريبة. أوحت له وكأنها ولد شرير يستعد للقتال. ثم وبخ نفسه على تصرفه. إنها خطرة ولكن ليس عليه شخصياً فهي تعرض حياة من تداويهم للخطر.

«يجب أن تعرفي يا آنسة وارلي، أنني أكره من يداوي الناس من دون دراسة الطب. فأنا رأيت الضرر الذي يمكن أن تتسببوا به. لقد مات طفل بين يدي لأن والديه توجها به إلى مداوٍ مثلك، بدل احضاره إلى أقرب مركز طبي. ولن أسمح بتكرار هذه الحادثة هنا.»

كان ريد يتحدث ويستخدم إشارات يديه في نفس الوقت. وعندما أنهى حديثه ضرب بقبضة يده على كفه الأخرى ليزيد من تأثير كلامه.

فقال جوش: «سيلينا لا تفعل ذلك أبداً.»

قلقت سيلينا من وجود ريد بريسكوت لدرجة أنها نسيت وجود صبي قربها. نظر ريد فجأة إلى عينيه، فنظرت هي

أيضاً. لتشاهد جوش يقترب منها، وعلى وجهه ترتسم تعابير الدفاع عنها.

راقب ريد الصبي وهو يقترب من المرأة. فكر بصمت في أن الناس في هذه البلدة متضامنون جداً، حتى إن كان ذلك ضد مصلحتهم أحياناً. ثم قال: «أتمنى أن تكون على حق.» وصورة الطفل الميت لا تفارق خياله. ثم استدار فجأة نحو سيارته ورحل.

شعرت سيلينا بيد تربت على كتفها. فاهتزت قليلاً. إلا أن اهتمامها كله كان ينصب على ريد بريسكوت لدرجة أنها نسيت وجود جوش مرة أخرى. ووقفت مذهولة من قدرة الرجل في السيطرة على أفكارها.

سألها جوش: «هل أنت بخير؟»

ابتسمت سيلينا لتبدد القلق البادي على وجهها وقالت: «أنا بخير. لم يزعجني أبداً.»

عبس جوش والاهتمام بها بادٍ على وجهه. ثم استخدم الإشارات التي علمته إياها سيلينا ليقول: «لم أر الدكتور بريسكوت غاضباً هكذا قبل اليوم. لطالما اعتقدته شخصاً لطيفاً... وهادئاً.»

ما زالت سيلينا ثائرة من الاتهامات التي وجهها إليها بريسكوت. لكنها تذكر ملامح الأسى التي ارتسمت على وجهه حين أخبرها عن الطفل الميت. قالت لجوش وهي تستغرب دفاعها عنه: «إنه قلق على حياة مرضاه.» وسرعان ما بررت ذلك لنفسها بأن كلامها من باب العدل فقط. لكنها أضافت بصوت مرتفع: «يجب أن يعرف الحقائق قبل اتهام الناس.»

www.rewity.com ريمـ

فقال جوش بحزم واضح من إشارات يديه: «لا تغضبي من كلامه.»

ابتسمت سيلينا وفكرت في نفسها، إن إميلي سوير أحسنت تربية ولدها. رغم المصاعب التي واجهتها كأرملة، تعيش بعيداً عن أهلها.

وقالت له بأسلوب رقيق يبين نيتها في نسيان ما حدث بينها وبين ريد بريسكوت: «فلنكمل تنظيف الحديقة.»

وافق جوش واتجه إلى الفناء الخلفي.

وعادت هي للعمل في حديقتها، وثمة فكرة غريبة كانت تدور في رأسها منذ أشهر عادت للظهور في هذه اللحظة. انقبضت ملامح وجهها فجأة فوضعت الرفش جانباً وخلعت قفازيها.

«سأعود بعد قليل.» قالت ذلك لجوش بصوت عالٍ، وهي تدخل منزلها لتحضر مفاتيح سيارتها.

توقفت بعد قليل أمام عيادة الدكتور جايمس. كانت تعرف أنه غادر المكتب، لكنها تمنت أن تجد غليندا جونز سكرتيرة الطبيب وممرضته. حالفها الحظ فوجدت غليندا تنهي بعض الأعمال المكتبية، فتمكنت بذلك من تسجيل موعد لرؤية الطبيب في صباح اليوم التالي.

وصل ريد بريسكوت إلى منزل تيودور جايمس والغضب بادٍ على وجهه. كان تيودور طبيب بلدة سميثشاير منذ أكثر من أربعين عاماً، وهو طبيب من الطراز القديم، يعالج المريض منذ ولادته حتى وفاته. والآن وقد بلغ السبعين تقريباً بدأ يبحث عن طبيب آخر يتولى عنه مهامه. وقد جاء

ريد في فترة اختبارية ليرى مدى ملاءمة المنطقة كبداية لعمله المهني.

قام الطبيب، وهذا ما كان سكان البلدة ينادون به تيودور جايمس، بدعوة ريد للإقامة معه. لم يرغب ريد في قبول الدعوة في بادىء الأمر. لكنه وافق بعد إصرار العجوز. «بعد وفاة زوجتي، بت أشعر أن البيت كبير وموحش. إنني أحب الرفقة.» وهكذا قرر ريد قبول دعوته.

كان المنزل كبيراً جداً بالنسبة لشخصين، اعترف ريد لنفسه بذلك وهو يقف على مدخل الشرفة الكبيرة المحيطة بالمنزل القديم المكون من طابقين. وهو النمط السائد في منازل البلدة.

وسأله الطبيب عند وصوله إلى الشرفة: «قالت لي غليندا أنك ذهبت لرؤية سيلينا؟»

وقف ريد ينظر إلى العجوز ذي الشعر الأبيض، وهو يجلس على كرسي خشبي كبير ويضع قدميه على حافة سور الشرفة: «أجل. ذهبت إليها.»

فقال الطبيب وهو يتفحص ريد بناظريه: «كان يجب أن أتحدث معك أكثر بخصوص سيلينا. يبدو أنك لا تحبها رغم عدم معرفتك بها. لا أفهم ذلك أبداً. إنها فتاة لطيفة.»

رأى ريد الاهتمام البادي على وجه العجوز. وعرف أن الطبيب ينظر إلى اختياره كطبيب جديد للبلدة بشكل جدي. كان يعتقد ريد أن بدء عمله هنا دون موافقة الطبيب ورضاه سيجعل البداية بالنسبة إليه متعبة ومكلفة. لأنه سيضطر لشراء معداته واستئجار مكتب خاص به. بينما إذا وافق عليه الطبيب، فسيحصل على ما هو موجود لدى جايمس شخصياً.

www.rewity.com ريفيتي

ومكتب الطبيب موجود قرب منزله في مبنى تملكه عائلة سميث. الجد الكبير لهذه العائلة، انغوس سميث، أسس مدينة سميثشاير ودعمها مادياً حتى وفاته. وقد أراد انغوس أن يحصل سكان المدينة على الرعاية الطبية الملائمة، فقام ببناء العيادة الطبية الصغيرة هذه وجهزها على أكمل وجه. وتقوم عائلته الآن بتحديث معداتها سنة بعد سنة.

لقد فوجىء ريد بالعون الذي يحصل عليه طبيب المنطقة الوحيد. حيث رأى أن عيادة الدكتور جايمس أفضل بكثير من عدة عيادات زارها في حياته. واكتشف أيضاً أن عائلة سميث تدفع أجري غليندا وكارين زيبرلي، وممرضتي الطبيب. والمذهل في الأمر أن عائلة سميث تدفع لتدريب أي ممرضة جديدة، يفرضها تغيير نظام طاقم العمل مع الطبيب. كل هذه الإمكانيات ـ العيادة المجهزة والممرضات ـ مقابل دولار واحد يدفعه الطبيب سنوياً.

لكن ريد بريسكوت ليس من النوع الذي يبيع مبادئه مقابل أي ثمن. وقف أمام العجوز قائلاً له بثقة وحزم: «أنا لا أؤمن بالتداوي الشعبي. لقد اختبرت الأضرار التي يلحقونها بالناس.»

أخذ الطبيب نفساً عميقاً وقال: «يبدو أن ملاحظتي الساخرة أثرت عليك.»

فرد عليه ريد بحدة: «ملاحظة ساخرة؟»

قال الطبيب وهو يشير بيده إلى كرسي قريب منه: «اجلس بقربي. يجب أن نتحدث قليلاً. وليكن ما أقوله لك كالاستشارة الطبية، تبقى بيني وبينك أبداً.»

أجابه ريد بحزم وهو يجلس على الكرسي قربه: «قد

تعتبر عمل الآنسة وارلي كمداوية مجرد طرفة. لكن الناس لا ينظرون إليها هكذا، وطلبهم مساعدتها بدل الحضور إلى العيادة، قد يعرض حياتهم للخطر.»

فرد الطبيب عليه بشكل حازم: «سيلينا لا تتصرف إلا بعد تفكير.»

كان ريد يحترم الطبيب كثيراً لكنه يتساءل الآن ما إذا كان العجوز قد تأثر بجمال وجه تلك المرأة: «كيف تتأكد من ذلك دائماً؟»

فأجاب الطبيب بلهجة مقنعة: «أعرف سيلينا في الواقع، أنا المسؤول عن توجيه اهتمامها لمداواة الناس.»

لقد عرف ريد العجوز عن كثب. فهو يعمل معه منذ أشهر، وهو يعرف تماماً أنه طبيب ماهر لا يؤمن بالخزعبلات وسأله بعنف: «أنت المسؤول عن ذلك؟»

جلس الطبيب باسترخاء في كرسيه، ونظر إلى الشارع الموازي لمنزله. وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة. «ولدت الفتاة على يدي.» ثم اختفت الابتسامة. «وقد عالجتها بعد حادث الطائرة الذي أدى إلى مقتل والديها. وقع الحادث خارج حدود البلدة. كان والدها طياراً. ملك طائرته الخاصة وبنى لها مدرجاً أمام مزرعته. كان ينقل الناس في رحلات قصيرة أحياناً ليكسب القليل من المال. وفي معظم الأحيان كان الطيران عنده هواية. يوم الحادث كان ينقل عائلته إلى كندا لزيارة أخيه هناك، وقال الخبراء إن الرياح تسببت بتعطل الطائرة وسقوطها.»

«على أية حال، مات كينيث الشاب وزوجته. ونجت سيلينا بأعجوبة وبقيت في غيبوبة فترة بعد نقلها إلى

www.rewity.com

المستشفى. لكنها فتاة شجاعة جداً.» ارتجف فم الطبيب وهو يكمل حديثه: «كنت بجانبها حين استيقظت، ما زلت أذكر نظرة الرعب في عينيها، وهي تتوقع سقوط الطائرة مرة أخرى.»

شعر ريد بالأسى تجاه سيلينا. لم يكن يعرف الكثير عنها قبل الآن. لكنه كان يفترضها من المشعوذين في الواقع، اعترف ريد ضمناً، أنه تجاوز حدوده قبل السؤال عنها.

تنفس الطبيب بعمق. «اكتشفنا بعد ذلك أن الصدمة على رأسها كانت قوية وقد تسببت لها بعاهة الصم. لم يكن القدر عادلاً معها. غضبت الفتاة كثيراً. لكن عائلتي والدها ووالدتها ساندوها في محنتها. وكذلك جميع أهالي البلدة. نحن مجتمع صغير هنا. الناس يهتمون ببعضهم. لذا أحببت الاستقرار في سميثشاير. على أية حال كانت هيلين استبي تعرف لغة الإشارات. تعلمتها منذ زمن لتخاطب جدتها الصماء منذ ولادتها. قامت هيلين بتعليم سيلينا وعلمت كل من يرغب من سكان البلدة، للتعاون مع سيلينا في مصابها. وبمساعدة هيلين كمترجمة استطاع أساتذة المدرسة إكمال تعليم سيلينا في دورات خاصة.»

قال ريد للطبيب وهو يفكر وإن لم يكن لأول مرة في أن هذه هي البلدة التي يود الاستقرار فيها: «كم كانت محظوظة بوجودك إلى جانبها.»

أجابه الطبيب: «هذا صحيح... ولكن رغم ذلك شعرنا أنها حزينة أو ربما كلمة حزن لا تكفي لوصف وضعها. إنها حالة عدم اكتمال. تحاول دائماً أن تجد مكانها المناسب في الحياة. ليس لأنها لم تنل الحب الكافي من عائلتها، فقد

أحبوها كثيراً، بل بسبب نظرة الضياع تلك التي تنتابها بين الفينة والأخرى. وبعدها بدأت تنطوي على ذاتها.» تذكر ريد سيلينا وارلي التي رآها منذ لحظات وأجابه: «لم أر نظرة تائهة في عينيها حين قابلتها منذ قليل. وبالطبع لم تكن من النوع المنعزل عن الناس.»

فرد الطبيب عليه: «كلا طبعاً، فقد وجدت سيلينا مكانها.» وتغيرت ملامح وجهه لتصبح أكثر رقة وهو يكمل حديثه: «بدأت القصة مع دانيال كولبي. كان طفلاً لطيفاً لكنه كان كثير البكاء، وقد فحصته أكثر من مئة مرة إلا أنني لم أجد فيه أية علة. وساءت حالة والدته الصحية، نتيجة قلة النوم. وطبعاً لأنها لم تجد من يهتم به أحياناً لإراحتها لشدة صراخ الصبي وبكائه. وبعدها فكرت في ادنا وارلي جدة سيلينا، التي نصحتني باقناع سيلينا بالاهتمام بالطفل حيث بامكانها الاهتمام به دون أن تصاب بالصداع. بدأت سيلينا مع الطفل وأظهرت اهتماماً واضحاً به. كانت تتحدث معه وتلاطفه وكأنها وجدت ذاتها في العناية به.»

«بعد يومين جاءت سيلينا لرؤيتي وأخبرتني بأنها لاحظت بقعة على ظهر الصغير أكثر حرارة من بقية أجزاء جسمه. ولكن والدته لم تشعر بأية حرارة غير عادية. اعتقدت أن الصدمة التي تعرضت لها سيلينا بعد الحادث قد أثرت على نفسيتها أيضاً. لكنها طلبت مني فحص الصغير. لم يبد لي الأمر معقولاً في البداية إذ كيف ترتفع درجة حرارة بقعة واحدة فقط من الجسم دون غيرها. إلا أنني لم أرغب في احراجها. فذهبت معها إلى منزل عائلة كولبي وفحصنا الصغير سوية. لم أشعر بشيء، لكنني

www.rewity.com

لاحظت أن الصغير يصرخ حين أضغط على البقعة التي أشارت إليها سيلينا.

حتى ذلك الوقت، كنت أعتقد أن الصغير كثير البكاء وحسب. فقد كانت والدته سريعة الغضب، الأمر الذي يؤثر على الطفل حتماً. وللتأكد من سلامة الطفل، طلبت من والديه نقله إلى بوسطن لإجراء عدد من الفحوصات الطبية. واكتشفنا أنه يعاني من التهاب في إحدى كليتيه. وقد أدى الالتهاب إلى تضخمها مسببة الألم للصغير. أجرى أطباء بوسطن جراحة عاجلة له وأنقذوا كليته من تلف محتم. وعاش الطفل بعد ذلك حياة طبيعية ـ ورغم أنه مدلل ـ إلا أنه ولد لطيف. من حسن حظه أن سيلينا اعتنت به في تلك الفترة.»

هز الطبيب رأسه مؤكداً حديثه: «أثارت تلك الحادثة فضولي. وكانت سيلينا تعيش مع جديها من طرف والدها في تلك الفترة فذهبت لرؤيتها. وأثناء زيارتي طلبت منها لمس كاحلي جدتها. ادنا كانت تعاني من التهاب مفاصل وكانت حالة الكاحل الأيمن سيئة. قالت لي سيلينا إن حرارة الكاحل الأيمن أشد من حرارة الكاحل الأيسر. عندها قالت لي ادنا إنها تحب طريقة سيلينا في التدليك فلمساتها لطيفة.» تابع الطبيب كلامه: «كنت أراقب سيلينا، وشعرت أنها ترتجف حين تلمس كاحل جدتها. فقلت في نفسي ربما كانت تملك حدساً في مداواة الناس.» عندها قالت لي ادنا: «لا أدري شيئاً عن قدرتها على شفاء هذه العظام الهشة، ولكني أشعر بتحسن كبير بعد التدليك.» «فشرحت الأمر فوراً وأوضحت لها أن سيلينا غير قادرة على شفاء أحد

ولكن ربما كانت تملك القدرة على تحديد مواضع الألم في الجسم.»

ظهر عبوس على وجه الطبيب: «طبعاً تعرف الشائعات. بدأ الناس يتحدثون عن قدرة الفتاة على المداواة. وبدأ عدد منهم في زيارة منزل جدتها ادنا طلباً للمساعدة. عندها جلست مع سيلينا وتحدثنا مطولاً. إنها فتاة منطقية. وقد وصلنا إلى اتفاق هو أن تخبرني فوراً فيما لو طلب أي شخص مساعدتها، وإذا لمست أحداً وشعرت بشيء غير طبيعي ترسله فوراً إلى العيادة. وقد أوجدنا نظاماً جيداً بعد سنوات من التعاون. وحين أشعر أحياناً أن المريض ليس على ما يرام، ولا أعرف سبب ذلك، أطلب مساعدة سيلينا فإذا شعرت بشيء أكرر الفحوص الطبية.»

ارتفع حاجبا ريد من شدة دهشته. «هل أنت مقتنع بقدرة الفتاة على اكتشاف المشكلات الطبية بمجرد لمس المريض؟» ثم استدرك متسائلاً هل أخطأ يا ترى في الحكم على العجوز؟ ربما لم يكن الرجل منطقياً بقدر ما بدا عليه.

وأجاب الطبيب بشكل قاطع: «أجل.»

نظر ريد إلى العجوز بتمعن ثم قال وصوته يدل على شكه في قدرة الطبيب على التركيز المنطقي: «هل تصدق ذلك حقاً؟»

واجه تيودور جايمس نظرة الطبيب الشاب بهدوء. «قلت لي إنك أحببت هذه البلدة وإنك تود البقاء فيها. وأنا راقبتك. فأنت جيد مع مرضاك. قاسٍ قليلاً. لكنك تعاملهم باحترام ومساواة. وأنت طبيب ماهر.» خفت حدة صوته وتابع

www.rewity.com

قائلاً: «سأخبرك شيئاً عن البلدة وليكن كلامي سراً بيننا.»

لمح ريد في لهجة الطبيب سراً زاد من اهتمامه بمعرفة التفاصيل. فرد على العجوز مازحاً: «كل ما ستقوله سيبقى سراً دفيناً.»

فقال الطبيب: «بعد أن مارست الطب هنا ست سنوات، دعاني العجوز انغوس سميث لتناول العشاء في منزله. كان في الثمانين من عمره حينذاك. وأثناء تناول العشاء سألني عن انطباعاتي حول البلدة وسكانها. قلت له إنها صورة نموذجية لما تمثله بلدة صغيرة مثلها وإن سكانها لطيفون جداً. وانتابني شعور غريب بأنه يود سماع المزيد مني، لكنني لم أقل أكثر من ذلك. بعد تناول الطعام ذهبنا إلى مكتبه. قال انغوس إنه يريد استشارتي في موضوع خاص وهام ـ وإنه يعتبر هذا الموضوع من أسراري كطبيب لا يجوز إفشاؤه. فوافقته طبعاً، واعتقدت أنه سيتحدث عن إصابته بمرض خبيث كالسرطان مثلاً، أو بمرض عضال آخر لكنه بدلاً من ذلك، بدأ يتحدث عن شجرة العائلة.»

هز الطبيب رأسه. «معظم الناس يتتبعون سلالاتهم لجيلين أو ثلاثة على أغلب تقدير. لكن انغوس ادعى أنه يعرف سلالة عائلته إلى ما قبل ميلاد المسيح. قال إنه ينتمي إلى عائلة أجدادها رجال دين صالحون. ثم قال إن الغالبية العظمى من سكان البلدة ينتمون إلى عائلات لها نفس الخصائص والجذور. وإن أجداده تتبعوا أخبار العائلات الأخرى هذه، وإنه بدأ بتأسيس البلدة لتجميع هذه العائلات من جديد.

ارتعش ريد من مجرد التفكير بالأمر. ونظر إلى الطبيب

بإمعان. «هل تقول لي إن داخل هذا المجتمع الذي يبدو مسالماً وهادئاً وطبيعياً، تكمن مجموعات عرقية تتحد في نسب واحد؟»

رفع الطبيب يديه. «لا. لا. فالناس هنا عاديون مؤمنون بشكل طبيعي في الواقع، وحسب ما فهمته من كلام انغوس، إن القليل القليل منهم يعرف تاريخ عائلته. ومن يعرف يحفظ الأمر سراً. لأن الموضوع سري فعلاً.»

«لكن انغوس أخبرك.» علق ريد على كلام الطبيب وهو غير قادر على استيعاب المعلومات التي يسمعها وقد بدأ الشك ينتابه في قدرة الطبيب الذهنية.

وابتسم الطبيب ساخراً. «أعرف أن المعلومات التي أقولها لك تبدو غريبة. لكن هذا ما قاله لي انغوس. لقد أخبرني أنه جمع أبناء هذه العائلات على أمل الاحتفاظ بقوة الأسلاف وإيمانهم. وأخبرني أيضاً أنه، رغم انتظاره حدوث شيء، إلا أن الأمور كلها بقيت هادئة في البلدة. وقد طلب مني مراقبة الأمور وإخباره إذا حدث أي شيء غير عادي.»

سأله ريد، وهو يحاول معرفة مدى تورط الطبيب بهذا الموضوع الجنوني: «وهل أخبرته شيئاً؟»

لاحظ الطبيب الاهتمام البادي في عيني ريد. «لا تقلق فأنا لا أنتهك الحرمات الشخصية.» قال ذلك وهو يضحك متابعاً: «لقد مازحت العجوز وأكدت له أنني سأراقب كل شيء. لكنني لم أخبره بشيء قط. ويجب أن أعترف بحدوث عدة أمور مذهلة، فالحياة مليئة بالغرائب. وبعد ذلك اكتشفت قدرة سيلينا. وقد حملتني على التفكير جدياً بكلام

www.rewity.com

انغوس. إن أصعب جزء في عملنا، كأطباء، هو تشخيص المرض. يجب أن نعرف ماذا يحدث في جسم المريض قبل أن نبدأ العلاج. وبدأت أرى الأمور بمنطق عقلاني. فمعظم قدماء المداوين، كانوا من أفضل من يشخص موضع العلة في جسم المريض. إذاً ما أخبرني به انغوس كان صحيحاً، لأن أسلاف سيلينا كانت لهم نفس قدرتها على كشف مواضع المرض. وكأن هذه القوة كانت كامنة داخلها وبعد أن فقدت سمعها، ظهرت قوتها كحاسة سادسة لتعوض الحاسة الخامسة المفقودة.»

اشتد استغراب ريد وهو يجد كلام الطبيب منطقياً وقال باقتضاب: «لكني ما زلت لا أفهم لماذا يتوجه الناس إلى سيلينا وارلي حين يكونون بحاجة ماسة للرعاية الطبية؟»

«لكنها ترسل المرضى إلي دائماً، حتى وإن لم تجد في المرضى علة، تخبرني بزيارتهم لها.»

عبس ريد تدليلاً على عدم موافقته ونظر إلى الشارع الموازي للمنزل. رأى في الناحية الأخرى طريقاً فرعياً، ومحطة إطفاء فمركز الشرطة ومكاتب المدينة. بدا كل شيء طبيعياً، ومسالماً. كان يتوقع أن تتوتر أعصابه بعد اعتراف الطبيب. لكنه ما زال يحب المكان وسكانه لأنهم يقومون بأعمالهم بصمت وسكينة. وحتى لو كان انغوس محقاً بشأن تاريخ سلالته، فهم جميعاً يعيشون الآن في عالم متحضر. فالغموض الذي لف العالم القديم أصبح واضحاً ومفهوماً بفضل العلم الحديث.

قطع الطبيب سلسلة أفكار ريد قائلاً: «جاءت سيلينا هذا الصباح وقالت لي إنها تريدني أن أفحص ديبورا رامزي

وإذ لاحظت عدم اكتظاظ جدول مواعيدك. فسجلت اسمها عندك.»

تغيرت ملامح وجه ريد قائلاً: «هذا هو السبب الذي قصدت الآنسة وارلي من أجله. فالسيدة رامزي حامل في الشهر الرابع وحالتها خطرة جداً. كان يجب أن تبقى تحت الاشراف الطبي منذ شهرها الأول بدل الذهاب لطلب المساعدة من الآنسة وارلي.»

فقال الطبيب وقد غضب من تلميح ريد بأن سيلينا اهتمت بالمرأة الحامل منذ البداية: «لا أصدق أن سيلينا حاولت معالجتها.» فقال ريد معترفاً: «تقول الآنسة وارلي إنها رأت السيدة رامزي للمرة الأولى هذا الصباح.» فارتاحت تعابير وجه الطبيب. «قلت لك أن سيلينا عاقلة جداً.» ثم عبس مرة أخرى وقال: «ألم تذكر لك سبب ذهاب ديبورا إليها بدل التوجه إلى العيادة؟»

فأجاب ريد مدركاً أنه أخطأ كثيراً باتهامه المجحف لسيلينا: «لم أسألها. فقد ظننت أن ديبورا رامزي معتادة على الذهاب إلى سيلينا.»

هز الطبيب رأسه. «لا. لا أعتقد ذلك. لابد أن ديبورا رامزي تعاني من أمر لا تريد البوح به.» وأكمل حديثه والقلق باد على محياه: «أنا أهتم بها منذ ولادتها إذا أصيبت بالزكام، إذا جرحت، أو كسرت عظامها إنها تأتي لرؤيتي في جميع الأحوال. ولكن عندما اقترحت عليها البدء بإجراء فحوصات شاملة امتنعت عن الحضور. وعندما كانت تتعرض لشيء، كانت تقصدني لكنها ترفض إجراء الكشف الطبي المعتاد. بعض النساء خجولات جداً

www.rewity.com ريفيتي

لكنني لا أعتقد أنها منهن. ولم أعرف سبب تصرفها بهذا الشكل.»

تذكر ريد زيارة المريضة التي تبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً وقال: «لقد حاولت مع غليندا تهدئتها لكنها تصرفت بذعر غريب طيلة الوقت. واعتقدت أنها تتصرف هكذا من شدة خوفها من فقد جنينها.»

فسأله الطبيب: «وهل هذا محتمل؟»

«أجل. إنها تعاني من مرض السكري أثناء الحمل. يجب أن تعتني جيداً بنفسها.»

الفصل الثاني

بدا ريد متكدراً طوال اليوم. لذا قرر المشي قليلاً بعد العشاء. لكنه لم يصدق اين قادته قدماه، حين وجد نفسه أمام منزل سيلينا وارلي.

وحدث نفسه قائلاً أنها تستحق اعتذاراً. فقد كان قلقاً على ديبورا رامزي وأراد أن يعرف من سيلينا شيئاً عن حالتها.

كانت سيلينا تجلس على كرسي هزاز على شرفة منزلها. وبدلاً من مشاعر الطمأنينة والهدوء التي اعتادتها كل ليلة من ليالي الصيف الهادىء، انتابها طوال اليوم شعور قوي بالوحدة. فكرت بما يمكن أن تفعله، كأن تذهب لزيارة جديها تروبر، أو تمر على العمة اديل، أو تقصد جديها وارلي في مزرعتهما. كانت تود أن تخبرهم عن مشروعها لكنهم سيحاولون منعها من تنفيذه حتماً. انقبض فكها، لأن ذلك سيؤدي إلى جدال عبثي إذ كانت مقتنعة برأيها تماماً.

شعرت بحركة بالقرب منها فنظرت أمامها لتجد ريد بريسكوت يجتاز بوابة الحديقة. توتر جسمها، فوضعت الصوف الذي تحوكه جانباً ووقفت تسأله بجرأة وهو يقترب من الشرفة: «هل نسيت أن توجه إليّ اتهامات أخرى؟»

أشار لها: «جئت كي أعتذر.»

وجدت سيلينا نفسها مسحورة بقوته وشكل يديه وهي

www.rewity.com ريما

تراقبه يشير لها بكلماته. وتذكرت قوته التي شعرت بها حين ربت على كتفها بعد ظهر اليوم، فأحست بحرارة تجتاحها إلا أنها ذكرت نفسها بسرعة بأن ريد بريسكوت يعتبرها خطراً على المجتمع. وانقلب الدفء الذي أحست به إلى برودة ظهرت على وجهها وهي تقف أمامه بتحدٍ.

وأكمل ريد حديثه وهو يشير لها بيديه: «أخبرني الطبيب عن الاتفاق المعقود بينكما. لكنني ما زلت غير مقتنع بفكرة حضور الناس لاستشارتك. وأعرف أن الخيار لا يعود لك وقد أقسم لي أيضاً أنك لا تحاولين مداواتهم.»

رأت ملامح الاعتذار في عينيه فوقفت أمامه بكبرياء مؤكدة له: «لا، أنا لا أحاول مداواتهم. فأنا أعرف حدودي جيداً، يا دكتور بريسكوت.»

أجاب: «هذا تصرف منطقي.»

تعلمت سيلينا دراسة طباع الأشخاص ونواياهم من وجوههم وحركات أجسامهم، لأنها حُرمت القدرة على سماع أصواتهم والتمييز بينها. وقد شعرت بتردده من تهدل كتفيه، وكأنه لم يكن مرتاحاً. ربما لم يرغب بزيارتي، قررت ذلك فجأة وقد شعرت بوخز الإهانة، وأجابت في قرارة نفسها، على أية حال أنا أيضاً لا أحب رؤيته، ثم قالت له: «اعتذرت مني وقد قبلت اعتذارك، تصبح على خير يا دكتور بريسكوت.» كان الظلام قد حل فاستدارت لتظهر له نيتها في دخول المنزل وحملت معها حقيبة أشغالها اليدوية.

فقال ريد وقد نسي مرضها، فمد يده بحركة لا شعورية وربت على كتفها: «أريد أن أقول لك شيئاً آخر.»

ذعرت سيلينا مرة أخرى وقد شعرت بفيض من الطاقة يسري في جسمها.

«أريد أن أتحدث معك في موضوع آخر.»

لاحظت سيلينا الإصرار على وجهه. لا بد أنه توقع منها المزيد من المتاعب. لكنه كان البادىء بإعلان الحرب بينهما. ذكّرت نفسها بذلك لتجيبه باقتضاب: «ما الأمر؟»

رأى في هذه اللحظة جوليا وبول جونسون في الشارع المقابل، فتحرك نحو باب المنزل وقال: «هل نستطيع الدخول؟ فالحديث خاص نوعاً ما.»

شاهدت سيلينا نظرته إلى الطريق ورأت عائلة جونسون، حيث لاحظت أن جوليا ترفع يدها بالتحية، فحيتها بإشارة من يدها.

أشارت سيلينا إليه بالدخول قبلها، فهنأ نفسه وكأنه فاز بشيء، فهو يعرف أن حديثهما خاص أينما كان، لأنه سيستخدم الإشارات الصامتة. دخل منزلها فشعر بالجو الهادىء المريح، إلا أن سيلينا لم تكن تنظر إليه بترحيب ومودة.

وقفت على بعد خطوات أمام الباب. عادة تدعو سيلينا زوارها إلى غرفة الجلوس وتقدم لهم شراباً بارداً، إلا أن ريد بريسكوت ليس زائراً. إنه في منزلها لأنه يريد منها شيئاً. فسألته: «في أي موضوع تريد أن تتحدث؟»

فأجاب ريد: «بخصوص ديبورا رامزي. يعتقد الطبيب أنها تملك أسباباً قوية تدفعها للحضور إليك بدلاً من التوجه إلينا.»

www.rewity.com

عبست سيلينا، فقد طلبت من ديبورا إخبار الطبيب بكل شيء. من الواضح أن المرأة لم تأخذ بنصيحتها. واعترفت سيلينا بضرورة اطلاعه على كل شيء. طالما أن الطبيب هو الذي يرغب بمعرفة ما يجري. لكنها مع ريد بريسكوت، وجدت نفسها صامتة وسألته: «ماذا تعتقد؟»

فكر ريد أن سيلينا وارلي ماهرة جداً في تمثيل دور البريئة. لكنه كان متأكداً من أنها تعرف شيئاً لم تخبره به. في الواقع، هو يعرف أنه تصرف معها بشكل لا يستحق الثقة. فقال ببطء: «كانت ديبورا خائفة وعصبية.» أشار بيديه وتابع: «رأيت نساء يتصرفن هكذا عندما لا يكن راغبات في إنجاب طفل. لكن هذه الحالة لا تنطبق على ديبورا. فقد أرادت الجنين.» نظر إلى سيلينا مباشرة وأردف: «أريد أن أعرف منك أية معلومات أخرى. من أجلها ومن أجل الجنين طبعاً.»

رأت سيلينا الاهتمام ظاهراً في عينيه. له نفس نظرة الطبيب العجوز حين يكون قلقاً على أي مريض. وإذا حل ريد مكان الطبيب فستضطر حينها للتعامل معه، أو على الأقل لاطلاعه على ما يحدث معها. وقد شكت، رغم ذلك، في أنه قد يطلب مساعدتها في يوم من الأيام.

«جاءت ديبورا لزيارتي لأنها شعرت أن وضعها ليس على ما يرام، لكنها كانت خائفة من التوجه إلى الطبيب أو إليك، لأنها عندما كانت في الخامسة عشرة من عمرها، ارتبطت بعلاقة مع فتى من بلدة غرين فيلد. لم يكن فتى، في الواقع، بل كان رجلاً في الثالثة والعشرين وكان متزوجاً. إلا أنها لم تكن تعرف شيئاً عن زواجه إلا بعد فوات الأوان. لم

يكن من المفروض أن ترتبط بعلاقة من أي نوع في مثل سنها. وقد اعتقد والداها أنها تخرج برفقة صديقة لها. لذلك لم تضطر لاختلاق الأعذار. وهي تعترف الآن برعونتها وطيشها. على أية حال، وجدت نفسها حاملاً. وخاف الرجل كثيراً، فأعطاها مبلغاً من المال نفقة لها وطلب منها ألا تتصل به مرة أخرى أبداً. وقد هددها بفضح أمرها للناس، على أنها كذبت عليه بشأن عمرها، وأنها أغوته وطلبت منه المال مقابل علاقته بها.»

توقفت سيلينا عن الحديث لتشتم الأشخاص الذين لا رحمة في قلوبهم ثم تابعت: «خافت ديبورا كثيراً وخجلت من إخبار والديها بالأمر. وقد زاد خوفها ورعبها حين حاولت التوصل إلى قرار. وكانت ديبورا على علاقة وثيقة بجدتها، أم والدتها، وهي أرملة عجوز تعيش وحدها في مزرعة بمنطقة نيو هامبشاير. فطلبت من والديها السماح لها بقضاء الصيف عند جدتها، وقد ساعدتها الجدة على إبقاء الموضوع سراً، خاصة وأنها أصيبت بالمرض في الأشهر الثلاثة الأولى.»

سكتت سيلينا مرة أخرى ثم تابعت: «قررت ديبورا إطلاع نيل على كل شيء قبل زواجها منه. لكنها عرفت أنه سيغضب كثيراً فخافت أن تخبره شيئاً عن الحمل، كانت تخشى أن تفقده. وتحاشت التوجه إلى العيادة حتى لا تخبر نيل بالحقيقة.»

صرخ ريد فوراً: «ألا تعرف شيئاً عن الثقة بين المريض والطبيب؟»

فردت عليه سيلينا بإشارات حادة تؤكد كلماتها: «إنها

www.rewity.com ريما

تعرف لكنها قلقة. لقد تجنبت اطلاع الممرضات على المعلومات التي تسجلها في ملفك الطبي.»

رد عليها ريد بإشارات قوية مماثلة: «ممرضاتنا أهل للثقة.»

فعبست سيلينا قائلة: «إن المرأة خائفة على زواجها.»

تنهد ريد بعمق وانقلبت نظرة التوتر في عينيه إلى شعور قوي بالشفقة. «أفهم شعورها.» اعترف بذلك، مشيراً بيديه. «لقد قابلت نيل رامزي وأنا لا أعتبره رجلاً متسامحاً. فهو يعيش حياة صارمة. ومما رأيته وسمعته، فإنه يتوقع من زوجته أن تعيش الحياة القاسية التي يعيشها. أعتقد أن ديبورا على حق فاطلاعه على هذه العلاقة سيزيد من قساوته وتصلبه معها.» صمت برهة ثم أضاف: «سأجد طريقة لأؤكد لها أن سرها عندي في أمان تام.»

لمحت سيلينا الصدق في عينيه وعرفت أنه أهل لثقة ديبورا فقالت له: «شكراً.»

أراد ريد أن يشكرها على تعاونها وأن يودعها ويرحل لكنه وجد نفسه غارقاً في بحر عينيها البنيتين، مذهولاً من النار التي تشتعل داخله. رفع نظره عن عينيها، فرأى شفتيها المكتنزتين الناعمتين. ذكر نفسه على الفور، أنت لا تريد التورط مع سيلينا وارلي. فهي من النساء اللواتي يعشقن التعهد والالتزام. خاف ريد من انجذابه غير المتوقع نحو هذه المرأة فعبس ونظر إلى ساعته وقال وكأنه على موعد هام: «من الأفضل أن أذهب الآن.»

تنهدت سيلينا بعمق، فهي لم تر في حياتها مثل هاتين العينين الزرقاوين. لقد ظنت لوهلة أن النار اشتعلت داخلها. والآن لم يبق من تلك النار سوى رماد بارد فها هو ذا يتحدث

ناظراً نحو الأرض، ولا تفهم من حديثه شيئاً لعدم رؤيتها حركات شفتيه. لكنها تأكدت من حركات جسده أنه يتوق للرحيل من منزلها.

مرة أخرى وجد ريد نفسه ينظر إليها ليحاول من جديد ايقاظ ذهنه، وقد تذكر أنها لم تفهم شيئاً مما قاله لأنه لم يكن ينظر نحوها مباشرة: «إنني مضطر للذهاب الآن.» كرر جملته. ثم أشار إلى ساعته وكأنه على موعد هام. أشار لها بعد ذلك: «شكراً على تعاونك.» ورحل.

ما ان اجتاز البوابة الخارجية حتى بدأ بتوبيخ نفسه، فما زالت مشاعره نحو سيلينا وارلي تسيطر عليه. لا بد أنه نسي نفسه فترة طويلة دون رفقة سيدة.

راقبته سيلينا من باب منزلها وهو يرحل. لقد انصرف مسرعاً حالما أنهى مقابلته معها. من الواضح أنها والدكتور بريسكوت لن يكونا صديقين. وبالنظر إلى مناقشتهما المختصرة، لا يمكنها وصف علاقتهما بأنها حتى مجرد معرفة.

عادت إلى الشرفة لتجلس على كرسيها الهزاز، وتراقب السماء والقمر الواضح. تنفست بعمق وحرارة فالهواء لطيف. أغلقت عينيها برهة، واسترجعت نظرة عينيه الزرقاوين. فتحت عينيها بسرعة وتمتمت أنا وحيدة لدرجة أني أفكر بريد بريسكوت. إنها، في الواقع، تعرف حلاً لمشكلاتها وغداً ستبدأ التنفيذ.

جلست سيلينا في إحدى غرف الفحص الطبي في عيادة الطبيب العجوز. ولم تكن ترتدي شيئاً سوى الرداء الأبيض

www.rewity.com ريما

المفتوح الذي أعطتها إياه الممرضة غليندا، وذلك لكي يتمكن الطبيب من فحصها. نظرت إلى الباب بعصبية، كانت متأكدة من أن الكشف لا يزعجها، لكنها تعرف سلفاً أن رد فعل الطبيب على طلبها سيكون قوياً. فُتح الباب ونظرت هي بذهول تام.

دخل ريد حاملاً الملف دون أن ينظر إلى المريضة وهو يعتذر: «سيحتاج الطبيب إلى وقت أطول مما توقع مع مريضته. وفكرت غليندا في أنك لا تمانعين...» قطع جملته فجأة فلم يكن قد نظر إلى الإسم بعد، واستدار فجأة إلى طاولة الكشف ليجد وجه سيلينا المذهولة.

لم تتمكن سيلينا من سماع أية كلمة من كلمات ريد لأنه لم يكن يتحدث معها مباشرة. لذا افترضت أن يكون قد أخطأ المريضة فأوضحت له: «عندي موعد مع الطبيب.»

«لقد تأخر قليلاً.» ونظر بسرعة إلى ملفها، لم يجب الاعتراف بذلك لكنه كان متوتر الأعصاب. وكأنها أول مريضة يفحصها في حياته. في الواقع لم تتوتر أعصابه هكذا في المرة الأولى. وضع الملف جانباً ونظر إليها. «قالت غليندا إنك هنا من أجل كشف طبي.» تحدث معها بالإشارة: «هل تعانين من أية مشكلة أو آلام تريدين اطلاعي عليها؟»

ذعرت سيلينا من مجرد التفكير به يفحصها وفكرت بسرعة أنه طبيب . لكن تفكيرها لم يتحول عن شعورها بيديه على جسمها. وقد تسبب لها هذا الشعور بتوتر غريب. فأكدت له. «أنا بصحة جيدة.» وتمنت لو تأخذ ثيابها وتهرول إلى منزلها.

أدار ريد ظهره وعاد يقرأ ملفها. مؤكداً لنفسه أنه عاين مئات النساء قبلها. وبأنه شاهد في حياته أجمل منها بكثير وأن ذلك لم يزعجه قط. حتى أنه لم يشعر بفرق فهو طبيبهن جميعاً. لكن مجرد التفكير بما قد يراه تحت هذا الرداء الأبيض الرقيق أشعل فيه ناراً تتعارض مع كل مبادىء المهنة.

لم تحد نظرها عن ظهره وهي تفكر في الاعتذار منه والعودة إلى المنزل. لكن سبب حضورها لرؤية الطبيب كان هاماً جداً. ولم تكن مستعدة بعد لوضع ثقتها به أو حتى للسماح له بفحصها. «أنا لا أقصد الإهانة يا دكتور بريسكوت.» قالت بحزم: «لكني معتادة على وجود الطبيب وأفضل انتظاره.»

تنهد بارتياح. ونظر إليها مبتسماً بتهذيب: «أفهم شعورك سأخبر غليندا.» تمسك بفرصته للهرب، فأخذ ملفها وأعاده إلى المنضدة الموجودة قرب الباب وغادر بسرعة. كان يعرف أن سيلينا وارلي ستسبب له المتاعب، فكر بذلك وهو يبحث عن غليندا. لكنه لم يتوقع أبداً أن تتبلور متاعبه مع هذه المرأة بصورة انجذاب قوي.

ارتاحت سيلينا بعد رحيله وجلست تنتظر حضور الطبيب. لكنه لم يدخل حين فُتح الباب مرة ثانية. بل كانت غليندا وهي سيدة في الأربعين من عمرها، متزوجة وسعيدة في حياتها، ولها ثلاثة أولاد. إنها ممرضة الطبيب وسكرتيرته منذ أكثر من عشرين عاماً. وهي تدير شؤون العيادة بكفاءة واهتمام. عندما أصيبت سيلينا بالصمم، كانت غليندا أول من يتعلم لغة الإشارة من أجلها. وقد كانت

تمازحها قائلة إنها تحب استخدام يديها للحفاظ على انسجام أصابعها مع آخر تطورات المجتمع. ولقد ابتهجت سيلينا كثيراً باهتمام غليندا بها حينذاك. كانت سيلينا متأكدة أن غليندا تعرف عن المريض بقدر ما يعرف الطبيب عنه، ومتأكدة أكثر من ذلك أنها امرأة كتوم. لا تتحدث أبداً في أي موضوع يتعلق بعملها. وهذا هو سبب ثقة الدكتور جايمس بها.

قالت المرأة وهي تشير بيديها بشكل مبالغ فيه لتؤكد لها اعتذارها: «آسفة لأني أرسلت لك الدكتور بريسكوت. فقد فكرت بالأمر بشكل عادي حتى قالت لي كارين أنها سمعت أن جوليا جونسون رأتكما معاً ليلة أمس.» ابتسمت غليندا وتابعت: «أنا متأكدة من أنك تريدين المحافظة على مسافة معينة بينكما، خاصة أن علاقتكما الشخصية ما زالت في البداية.»

ذهلت سيلينا من اعتقاد الناس أن الدكتور بريسكوت يغازلها. ثم اختفى شعورها بالضحك، فقد فكرت، للوهلة الأولى، أن صدمة الطبيب الشاب ستكون أكبر بكثير. لكنها لن تسمح بانتشار هذه الشائعة خاصة مع الموضوع الذي تفكر بتنفيذه. «جاء الدكتور بريسكوت للاعتذار عن سوء تفاهم حدث بيننا بعد ظهر أمس.» قالت سيلينا جملتها وهي تشير بيديها لتتأكد من فهم المرأة لما تقوله لها.

خاب أمل غليندا وقالت: «آسفة لسماع ذلك. أعتقد أنكما متناسبان تماماً.»

عقدت سيلينا حاجبيها لأنها تشك في صحة هذا الكلام. فقد يئست من البحث عن رجل مناسب يشاركها حياتها.

وحتى إن لم يكن الموضوع بهذا الشكل، فقد أوضح ريد رأيه بها. وحدد هو بنفسه علاقتهما في مجال ضيق جداً وقالت لغليندا بحزم: «لا أعتقد ذلك.»

فأجابتها غليندا وهي تهز رأسها بحزن: «هذا أمر سيّء جداً.» ثم أضافت: «سوف أرسل لك الطبيب حالما ينتهي من معاينة مريضه.»

راقبتها سيلينا وهي تغادر الغرفة، وجلست تتساءل عن رد فعل الممرضة حين تعرف سبب حضورها لرؤية الطبيب. لن توافق حتماً. فكرت بذلك، ثم هزت كتفيها، فهي لا تهتم بما يظنه الناس بها، لأن قرارها نهائي.

www.rewity.com ريفيتي

قال الطبيب: «ماذا تريدين؟»

لم تر سيلينا الدكتور جايمس منفعلاً هكذا من قبل. لكنها ظنت أنها أول من يطلب منه هذا الطلب. «أريد أن تتدبر لي أمر تلقيح اصطناعي.» كررت جملتها وأضافت: «أريد طفلاً.»

«أنت في السابعة والعشرين... هذا شعور غير عادي لشابة في عمرك.» ثم تحول كلامه إلى أسلوب منطقي: «ومع ذلك فأنا أرى أن البحث عن زوج مناسب أمر لائق أكثر إن كنت تشعرين برغبة في الأمومة.»

واجهته سيلينا بهدوء: «لم أجد رجلاً أرغب بالزواج منه في بلدتنا والمناطق المجاورة وأنا لا أريد مغادرة البلدة، منزلي هنا، وأنا أحب نمط الحياة فيها.»

سألها الطبيب وهو يحاول اتخاذ مسلك آخر لإقناعها: «ماذا عن عائلتك؟»

صمتت سيلينا برهة. «أعتقد أنهم سيغضبون لكنهم لن يتخلوا عني أبداً.»

اضطر الطبيب لموافقتها فهو يعرف مدى لطف العائلتين «تابرز» و«وارلي». إنهم لا ينقلبون ضد سيلينا أبداً. فسألها: «ماذا عن عملك؟ هناك من يعتقد أنه من غير اللائق توظيف سيدة حامل غير متزوجة في المكتبة العامة.»

«كما تعرف فإن انغوس سميث هو مؤسس المكتبة وتديرها الآن هيئة كان قد عينها بنفسه. ولا يستطيع أحد طردي من عملي سوى ثلاثة أعضاء مسؤولين عن مهام الهيئة الإدارية. واحد منهم له ابنة تعيش مع رجل بدون زواج. وابن واحد آخر خطب فتاة بعد أن ارتبط بأخرى وله ولد منها.» نظرت إلى الطبيب بثقة وقالت: «لا بد أنك تذكر غضب الجميع منه حين تزوج الفتاة الثانية، ونحن جميعاً نتمنى ألا تكون الأخرى حاملاً. بالإضافة إلى أنهم لا يستطيعون طردي إلا بسبب عمل شائن أو إهمال في واجباتي. وأنا دائماً أؤدي عملي على أكمل وجه. ولا أرى أي تصرف شائن في إجراء طبي بحت كهذا.»

أوضح الطبيب رأيه: «اعتاد الناس على التصرف حسب حاجاتهم.»

امتعضت سيلينا من رأيه. «لا أعتقد أن أهالي البلدة من محبي الانتقام. انظر كيف عاملوا اميلي سوير. رغم إهمال عائلتها لها. إلا أن الكثيرين ساعدوها.»

هز الطبيب رأسه. «أرى أنك مصرة على رأيك، لكني أطلب منك إعادة التفكير مرة أخرى.» أشار لها بيديه وهو يتحدث برجاء: «تحدثي مع جديك ومع عمتك اديل. ثم تعالي

لزيارتي مرة أخرى. إن كنت ما زلت مصرة سأساعدك حتى النهاية. لكن أتمنى أن تأخذي بنصيحتي.»

شاهدت سيلينا الاهتمام البادي على وجهه. «أعرف أنك قلق عليّ. وأنا سأتحدث طبعاً مع جديّ وجدتيّ وعمتي. لكني لن أغير ما عزمت عليه.» نظرت إليه برجاء ثم تابعت: «أشعر بالوحدة. أريد طفلاً يؤنسني.»

«عديني أن تتحدثي مع عائلتك.» كرر كلامه وهو يشير بيديه بقوة واضحة تبين مدى إصراره على ذلك.

رفعت سيلينا يديها وكأنها توقف السير. «حسناً. حسناً. سأتحدث معهم. أعدك بذلك.»

جلست سيلينا على الكرسي الهزاز على شرفتها ورفعت قدميها إلى حافة السور ونظرت تحدق في الفراغ. لم تذكر أنها شعرت في حياتها بمثل هذا الجفاف. لقد ذهبت بعد الظهر لزيارة جديها وعمتها اديل. وقد حاولوا إقناعها بالعدول عن فكرتها ومع ذلك قالوا إنهم سيقفون إلى جانبها مهما كان قرارها. وكانت تعرف أيضاً أن فترة حملها ستكون صعبة على جديها. فالعمة اديل أكثر قدرة على مواجهة الناس والرد على ثرثرتهم التي ستدور حول سيلينا. لم ترغب في إيذاء عائلتها أو التسبب لهم بإحراج. لكنهم لم يفهموا مدى شعورها بالوحدة.

لفت نظرها رجل يسير إلى جانب الطريق. إنه ريد بريسكوت.

لم يصدق ريد أنه وجد نفسه من جديد أمام منزل سيلينا وارلي. ولكن، بما أنه اتفق مع الطبيب على

www.rewity.com

مناقشة جميع الحالات التي تمر على كل منهما تحسباً لجميع الاحتمالات. فإذا رحل ريد لن يشعر الطبيب بأنه على جهل تام بحالات المرضى الذين عاينهم الدكتور بريسكوت. وكذلك الأمر في حال بقي ريد معه وأراد استلام عمل العيادة منه، فإنه سيكون مطلعاً بشكل مسبق على حالة جميع مرضى الطبيب. لذا قررا مناقشة حالة كل مريض عندهما. وهذا ما حدث أثناء تناول العشاء. حيث تحدث الطبيب مع ريد بخصوص موضوع سيلينا وطلب منه محاولة إقناعها بالعدول عن فكرتها. إن لم يتمكن الطبيب من إقناعها فلن أفلح أنا معها. تمتم ريد في نفسه بذلك مقتنعاً بوجوب المحاولة.

أشار لها بعد أن فتح باب الحديقة الأبيض واتجه نحو الشرفة: «ليلة لطيفة.»

عرفت بسرعة سبب وجوده عندها. فلا بد أن الطبيب طلب منه ذلك. أجابته: «هذا يعتمد على قصدك. إن كنت تعني الجو. فأنت على حق.»

توقف ريد أمام فتحة صغيرة قرب سور الشرفة وانحنى على أقرب عمود ليدرس ملامح وجهها عن كثب. وسألها وهو يعرف الإجابة من التعب البادي على وجهها: «كان عملك هذا النهار شاقاً؟»

فتنهدت بصوت مرتفع: «يمكنك أن تقول ذلك.»

تساءل في نفسه عن الطريقة التي يبدأ بها الحديث مع سيلينا. وأخيراً قرر: «تناقشت مع الطبيب بخصوص جميع المرضى وقد أخبرني بما طلبته منه.»

عبست بوجهه. «وأعتقد أنك لا توافق أيضاً.»

أجابها ببطء وهو يشير بيديه: «أعتقد أنك اخترت طريقاً شاقة.»

«الحياة مليئة بالمشقات.»

فرد عليها: «لم أكن أعرف أنك فيلسوفة.»

لم تفكر سيلينا بوسامة ريد بريسكوت من قبل. ومع أن ملامحه متناسقة ومنسجمة معاً، إلا أن تعابير القسوة والجمود كانت تضفي عليه خشونة واضحة. لكن خطوط وجهه تصبح أكثر رقة حين يبتسم. يجب أن تعترف أنه يروق لها. فكرت في نفسها وهي تنظر بعيداً. «إنني متعبة أكثر مما تصورت.»

رآها ريد تستدير. من الواضح أنها لا ترغب بالتحدث معه. على أية حال، لم يكن هو أيضاً متحمساً كثيراً للبقاء لكنه وعد العجوز بمحاولة إقناعها بالمنطق، وقد اعترف أيضاً أنه لا يريدها أن ترتكب غلطة تسبب لها الألم مدى الحياة. انحنى إلى الأمام وربت على كتفها حتى تستدير نحوه.

نظرت سيلينا إليه بسرعة حين شعرت بلمسته الخفيفة على كتفها.

أشار إليها: «ألا تعتقدين أن البحث عن زوج أمر مناسب أكثر بالنسبة لك؟»

لقد سمعت نفس الكلام من جديها ومن عمتها اديل. قالت لهم ببساطة أنها لا ترغب في أي رجل في سميثشاير. لكن أعصابها الآن متوترة إلى أبعد حد. لم تكن في مزاج ملائم للتظاهر والإدعاء. «لا أعرف إن كان صممي هو السبب، لكن كل من تقدم لي يقع في واحد من خطأين. إما أن يحاول

www.rewity.com

حمايتي حتى أشعر أني أختنق من قيوده. وإما أن يرغب بسماع امتناني له على الوقت الذي يقضيه معي. وأنا لا أنوي الزواج بأي من هذين النوعين.» انقبض فكها وأردفت: «إذا استطعت طبعاً.» وأشارت له بقوة توضح مدى انفعالها: «أستطيع إنجاب طفل من دون توريط أي رجل، وبما أنه لا يوجد غير شخص واحد قادر على مساعدتي، وهو الطبيب، فقد قررت استخدام الوسيلة الفضلى الأخرى.»

لم ير ريد في حياته امرأة بهذا الإصرار والتصميم.

«مساء الخير.» نادت سيدة من خلفهما.

استدار ريد نحو الطريق ورد عليها: «مساء الخير.»

لاحظت سيلينا استدارة ريد فجأة نحو الطريق فنظرت لتعرف السبب. لقد رأى جوليا وبول جونسون في نزهتهما المسائية المعتادة. وعندما رأتها جوليا تنظر نحوهما ابتسمت ولوحت بيدها. فردت سيلينا التحية. لكن سرعان ما اختفت الابتسامة حين نظرت إلى ريد بريسكوت من جديد. لقد أخبرته بأشياء لم تقلها لأحد من قبل. والآن تشعر بالاحراج وبرغبة ملحة في الابتعاد عنه. فقالت له: «أرجوك ارحل حفاظاً على سمعتك في المنطقة.»

أجاب ريد مندهشاً: «سمعتي أنا؟»

«رأتك عائلة جونسون البارحة هنا.» أجابته سيلينا وتابعت: «هذه الأخبار تنتشر بسرعة. لقد أخبرت غليندا أمس بأنك زرتني في عمل. لكنها لن تصدقني إن حاولت تبرير هذه الزيارة. وعندما أصبح حاملاً ستدور الشائعات حولك في أنك أنت الأب.»

عرف ريد بأنها تطلب رحيله. وهو طبعاً لم يرغب بأية ثرثرة تسيء إلى سمعته في البلدة، خاصة وأنه ما زال في بداية عمله. بالإضافة إلى أنه لم ير سبباً لاستمرار محادثتهما. لأن سيلينا كانت مصممة وهو يعرف جيداً أن رأيه لن يغير في الموضوع شيئاً. فأشار لها: «أتمنى أن تفكري جيداً في هذه المسألة.» ثم تمنى لها ليلة سعيدة ورحل.

زاد شعور سيلينا بالوحدة بعد رحيل ريد، إلا أن شعورها هذه المرة كان أقوى. فتمتمت. «لقد فكرت كثيراً بهذا الموضوع.»

www.rewity.com

الفصل الثالث

جلست سيلينا، في المساء التالي وحدها على الكرسي المزدوج في غرفة الجلوس في منزل الطبيب العجوز. لقد مر عليها في المكتبة بعد ظهر اليوم ودعاها إلى منزله لتناول العشاء. في الواقع كان طلبه أمراً أكثر منه دعوة. لكنها كانت أكثر من راغبة في تلبية دعوته. فقد حضرت جدتاها وعمتها اديل في الصباح الباكر مع أنهن كن عندها في المساء، وذلك في محاولة أخرى لإقناعها بالعدول عن رأيها.

بدا لها عند حضورها أن ريد بريسكوت لم يكن يتوقع زيارتها. لقد رأت علامات الدهشة على وجهه حين فتح لها باب المنزل.

قام الطبيب بإرسال دورين تروي مدبرة المنزل والطاهية إلى منزلها فور الانتهاء من إعداد طعام العشاء، حيث قام بترتيب المائدة بنفسه. حاول ريد التحدث حول مواضيع عامة أثناء تناول الطعام، لأنه لم يكن يعلم ما يجول بفكر الطبيب.

زاد شعور سيلينا بعدم الراحة مع مرور الوقت. فقد كانت تنظر تارة إلى الطبيب الذي كان يدقق في ملامحها، وتارة أخرى إلى ريد الذي كان يحاول تجاهلها بتهذيب.

انتهى العشاء فجلس ريد قربها على الكرسي المزدوج، ووقف الطبيب أمامها وهو ينظر بامعان في وجهيهما.

قطع الطبيب الصمت الذي ساد بينهما بعد انتقالهم إلى غرفة الجلوس حيث جلس ريد بجانب سيلينا على نفس المقعد: «أريد أن أقول لكما شيئاً.» وتابع حديثه وهو ينظر إلى سيلينا ويشير بيديه: «لقد فكرت كثيراً في طلبك. وقد جاءت جدتاك وعمتك اديل لزيارتي اليوم. واتصل بي جداك هذا الصباح. وعلى الرغم من قلقهم عليك وخوفهم من ندمك فيما بعد إلا أنهم شعروا بأن قرارك نهائي.»

هزت سيلينا رأسها إيجاباً.

حرك الطبيب رأسه بيأس، وتجهمت تعابير وجهه حين استدار ليبدأ حديثه مع ريد. وقد استمر في استخدام الإشارات حتى تفهم سيلينا حديثهما. «تناقشت جيداً مع براين سميث بشأن استقدام طبيب جديد ليحل مكاني فيما بعد، وقد كان واضحاً جداً وهو يطلب إنساناً مستقراً في البلدة. بالنسبة له هذا يعني رجلاً متزوجاً. ولم يكن سعيداً حين طلبت منك الحضور إلى هنا في فترة اختبارية. لكني أوضحت له أنك ما زلت في الثلاثين من عمرك وأنك كرست كل وقتك لتعلم الطب وقد قلت له أيضاً أنك بكل بساطة لم تحظ بالوقت الكافي للبحث عن زوجة. ولمحت له أنك ستصبح جزءاً من هذا المجتمع إذا تزوجت هنا. إلا أنني تناقشت معك في موضوع الزواج عدة مرات، وقد أوضحت لي أنك لا ترغب في تكوين أسرة. وهذا يخلق مشكلة جديدة. وقد ظننت أن قدراتك كطبيب ستفرض على براين تغيير رأيه وبأنه قد يتغاضى عن شرط الزواج في الوقت الحاضر على الأقل. لكنه لم يقبل. مع التذكير بأنك قادر في أي وقت على تأسيس عيادة خاصة بك. لكنك ستكون مضطراً لاستئجار

www.rewity.com

مكتب وشراء معدات لتصبح طبيب البلدة. لكني لا أشجعك على ذلك لأن ديونك ستكون كبيرة ولن يكون دخلك موازياً.»

فأجابه ريد: «من الأفضل إذاً أن أبدأ بإعداد حقائبي. إذ لا فائدة من إهدار وقتك ووقتي.»

لم تستطع سيلينا فهم حديث ريد لأنه كان يتكلم دون إشارات. لكنها فهمت من تعابير وجهه أنه لن يسمح لأي شخص، حتى الطبيب العجوز بالتدخل في نمط حياته.

«انتظر.» أمره الطبيب بالجلوس حين وقف مبدياً رغبته بالرحيل. «لم أكمل حديثي بعد.»

عاد ريد للجلوس مكانه احتراماً لطلب الطبيب، منتظراً نهاية هذا الحديث الذي لا يود الخوض فيه. لكنه لم يستطع أن يصدق الحل السخيف الذي تقدم به الدكتور جايمس.

أكمل الطبيب كلامه وقد اتجه من جديد نحو سيلينا ليتأكد من فهمها الكامل لحديثه: «أرى أنكما تعانيان مشكلة واحدة تقريباً، يمكنكما مساعدة بعضكما إذا تزوجتما. فبهذه الطريقة يكون لسيلينا زوج فتوفر على عائلتها الكثير من الحزن والقلق و...» ضاقت عيناه وهو يحدق فيها ليكمل حديثه: «يجب أن تفكري بالطفل. فإن الأمور ستكون أسهل بكثير بالنسبة له إن كان يعرف والده الحقيقي. بدل أن تحاولي إقناعه بأن والده مجرد خلية مجهولة.» ثم أدار وجهه نحو ريد. «وأنت ستكون لك زوجة تربطك بالمجتمع وعندما توقع عقدك مع عائلة سميث، تحدد مدة أدناها عشرون عاماً. حتى تشعر بالاستقرار الكافي للبقاء هنا وفي هذه الحالة، وحتى إن لم ينجح زواجكما سيكون أمامك متسع من الوقت لبناء

مستقبلك وادخار مبلغ من المال لتأسيس عيادة مستقلة في ما بعد.»

نظرت سيلينا إلى الطبيب بذهول وصمت تام. لم تصدق أنه قد يقترح مثل هذا الحل الغريب.

أما ريد فقد هز رأسه بذهول، كان مقتنعاً برغبة الطبيب في مساعدتهما، لكنه لم يصدق أن العجوز يفكر في مثل هذا الحل.

«على الأقل فكرا بما قلته لكما.» طلب منهما العجوز ذلك مبدداً الصمت الذي ساد الغرفة. «أما أنا فسأذهب في نزهة قصيرة.»

ساد الصمت لحظات بعد رحيل الطبيب وقد نظر ريد وسيلينا إلى باب الغرفة وأخيراً أرادت سيلينا كسر حاجز الصمت فاستدارت نحو ريد قائلة وهي ترى ملامح الذهول والدهشة على وجهه. «إنه اقتراح سخيف.»

استدار ريد نحوها. «أجل إنه أمر مناف للعقل.»

تذكرت سيلينا فجأة شعورها المشحون بالعواطف حين لمسها وتساءلت كيف يكون إحساسها وهي بين ذراعيه. إنه آخر مكان أود أن أكون فيه، وآخر مكان يود هو رؤيتي فيه. ولكنها تماسكت بسرعة. «علي أن أعود إلى المنزل الآن.» ثم نهضت متأهبة للرحيل.

وقف ريد ينظر إليها وهي تغادر الغرفة، إنها جذابة ورشيقة. لكن الزواج من سيلينا وارلي مستحيل. الزواج من أية امرأة أمر مستحيل بالنسبة له.

بقي جالساً وحده ينظر إلى الكرسي الشاغر حيث كان الطبيب جالساً. «أمر مناف للعقل.» كرر جملته وانتقل

www.rewity.com

بنظره إلى النافذة ليلاحظ الظلام الدامس في الخارج.

انتابه قلق مفاجيء. لم تكن سيارة سيلينا في الخارج هذا يعني أنها جاءت سيراً على الأقدام. والآن ستعود وحدها إلى المنزل.

«إنها بأمان تام في هذه البلدة.» حاول طمأنة نفسه، لكنه عاش فترة طويلة في نيويورك. فوقف بحركة واحدة وهرول خارج المنزل.

فزعت سيلينا حين شعرت بلمسة على كتفها كانت تفكر باقتراح الطبيب لدرجة أنها نسيت العالم المحيط بها تماماً. توقفت، لتجد ريد بريسكوت بقربها.

قال لها: «ليس من اللائق أن أتركك تعودين وحدك إلى المنزل.»

كان الظلام حالكاً لا يبدده سوى نور الشرفات وضوء القمر، لكنها تمكنت من قراءة شفتيه وفهمت عبارة «لائق ووحدك إلى المنزل.» لقد شعرت بالإثارة لحظة وجيزة، حين رأته يلحق بها. لكنها عرفت من تعابير وجهه المتجهم أنه يفعل ذلك كواجب مضطر لأدائه. فردت عليه: «هذا ليس ضرورياً.»

«بلى ضروري.» مصراً على مرافقتها. «من أجل راحة ضميري، سأوصلك إلى باب منزلك.»

انقبضت شفتاها احتجاجاً على ذلك، لكنها علمت من صرامة ملامحه أن لا فائدة من الجدل معه. فقالت: «كما تشاء.» وتابعت سيرها.

لم تستطع منع نفسها من التفكير به، وهو يسير إلى جانبها فتجهمه يؤثر على أعصابها. ولقد أرادت لبرهة أن

تتوقف وتأمره بالعودة إلى منزله، حين استدركت خواطرها، إذ لا بد أن يكون متجهماً من اقتراح الطبيب. فقد وافق على رفضها للموضوع. لكنها كانت قاسية في ردها عليه.

فقالت له: «أريدك أن تعرف أني لا أظنك زوجاً سيئاً.»

نظر إليها بتعجب وكأنه غير متأكد إن كان كلامها إطراء له، بينما اعتبر ضمنياً أن رفضها القوي لاقتراح الطبيب إهانة شخصية له. وقد عرف أن مجرد الشعور بذلك هو أمر سخيف، لأنه وافقها على سخافة فكرة الزواج بهذه الطريقة. تمتم في نفسه أظن أن كبريائي حساسة أكثر مما أعتقد.

وأدركت سيلينا أن اعتذارها لم يصله بشكل مناسب فأضافت: «لا بد أنك ستكون زوجاً رائعاً للسيدة التي تختارها.»

«شكراً.» أشار لها وحول اهتمامه إلى الرصيف الممتد أمامه.

شعرت سيلينا بالاستياء فقد اعتذرت منه وتوقعت أن تسمح اعتذاره بالمقابل. فقد رد على الطبيب بكلمة «مناف للمنطق» وكأنه يعتبر الزواج منها أمراً أسوأ من الموت. أنا لا أهتم برأيه بي. أكدت ذلك لنفسها وسارت بخطى سريعة، لتصل إلى منزلها وتتخلص من مرافقته في أقرب فرصة ممكنة. حين وصلت إلى حديقتها رفعت يدها بتحية سريعة وبدأت بصعود الدرج.

وفكر ريد كم هي لطيفة حين ترتبك. فقد خمن سبب إسراعها للوصول إلى المنزل وهو اعترف بذلك. كان مسروراً لاهتمامها برأيه. وكان متأكداً حتى هذه اللحظة أن الأمور تكون مختلفة كلياً لو أنها لا تبدي نفورها منه بهذا

www.rewity.com

الشكل الواضح. تبعها إلى الشرفة وأمسك بذراعها قبل أن تتمكن من دخول المنزل. ثم ترك ذراعها وبدأ باستخدام الإشارات وهو يتحدث: «أريد أن أقول لك شيئاً في النور هنا، لتتمكني من قراءة كلماتي بوضوح. أعتقد أنك تسعدين الرجل كزوجة أكثر من أي امرأة أخرى. لكنني لست مهتماً بالزواج. فقد تزوجت والدتي أربع مرات، وتزوج والدي مرتين وانفصل مرتين. مجموعات الصور في منزلنا مرتبة حسب حفلات الزواج ومراسم الطلاق وليس حسب التواريخ. وأنا شخصياً أوافق بأن الناس الذين يقعون في الغرام، يتحول حبهم بعد سنوات، أو حتى أشهر، إلى جنون مطلق. العجوز يعتقد أن الزواج أمر يبعث على السعادة والراحة مدى العمر. ربما كان على حق، ولكن، من جهة ثانية أشعر أن الزواج يبدو سعيداً ورائعاً في الظاهر، إنما وراء ابتسامة الزوجين تجدين شخصين بائسين. يقول الطبيب إني أفضل العلاقات الأفلاطونية بين الناس، لكني أرفض دخول دوامة الزواج.»

قالت سيلينا لنفسها إن كلامه لا يشكل فرقاً بالنسبة لها. لكنها سعيدة، فقد عرفت أن رفضه لاقتراح الطبيب لم يكن رفضاً لشخصها كزوجة.

فقالت له وابتسامة خفيفة ترتسم على زوايا فمها: «الطبيب على حق فيما قاله عنك.»

فأجاب: «أعرف لكني رجل سعيد.»

فأجابته: «وأنا سعيدة من أجلك.»

نظر إليها بجد. «وأتمنى أن تكوني سعيدة بأي قرار تتخذينه بخصوص موضوع الطفل.»

أشارت له: «شكراً لك.» وقد شعرت بضعف في ساقيها حين نظرت إلى عينيه الزرقاوين، ودفء غريب يسري في ذراعها منذ أن أمسك بها ليمنعها من دخول المنزل. ومرة أخرى وجدت نفسها تسترسل في شعورها بأنها بين ذراعيه. قالت لنفسها وهي تنظر بعيداً عنه: هذا شعور لن تعرفيه أبداً. ثم وضعت مفتاحها في قفل الباب قائلة: «تصبح على خير.»

انتظر دخولها، ثم ألقى عليها التحية بسرعة ورحل. تنفس ريد بعمق بعد أن أقفلت الباب، لقد شعر للحظة حين نظرت إليه، أنه تاه من جديد في بحر عينيها النجلاوين. وتمتم وهو يسير نحو الطريق: «إنني أهتم بها أكثر من المعتاد لأني قلق عليها. لا أعتقد أنها تعرف الصعوبات التي ستواجهها إن أنجبت طفلاً من دون زواج.»

استلقت سيلينا بعد ذلك في سريرها، وهي تحدق في الظلام المحيط بها. كانت متعبة جداً وقلقة، لأنها شعرت بأنها لم تكن عادلة مع عائلتها. إنها تحبهم ولا تريد لهم المعاناة بسبب ثرثرة الناس وشائعاتهم التي ستنتشر إذا نفذت خطتها. ربما ستكون غير عادلة مع الطفل أيضاً. فحياة جوش سوير ليست سهلة. وهي تلاحظ دائماً سخرية باقي الأولاد منه.

تدحرجت دمعة من عينيها. لقد تعبت من وحدتها. دلكت صدغيها بقوة بعد أن زادت حدة الصداع في رأسها. ربما يجب عليها أن تفكر مرة أخرى في اختيار زوج. فكرت بالاحتمالات الموجودة أمامها. وقالت في نفسها: «قد أكون

www.rewity.com

وحيدة لكني لست يائسة.» وفجأة جال طيف ريد بريسكوت في ذهنها، فذكرت نفسها بسرعة. «لا يرغب بالزواج أبداً.» وما لبثت أن غرقت في نوم عميق.

تثاءب ريد بريسكوت وهو يقود سيارته في شارع «أوك» ونظر إلى ساعته فوجدها قرابة منتصف الليل. لقد اتصل به بروس ستيوارت قبل قليل وأخبره أن زوجته أوليفيا التي تجاوزت الستين من عمرها، تعاني من أزمة قلبية. سمع ريد صوت الرجل العجوز خائفاً فوعده بالحضور فوراً. وقد عادت ضربات قلبها للمستوى الطبيعي فور وصوله إلى منزلهما. انتظر هناك فترة للتأكد من سلامتها، وطلب من بروس اصطحاب زوجته إلى العيادة في الصباح التالي، ثم رحل.

وبدل أن يتجه إلى منزل الطبيب من الطريق المختصرة، وجد نفسه يقود سيارته قرب منزل سيلينا وارلي. كانت أنوار منزلها مطفأة. عرف أنها نائمة فتخيلها ممددة في فراشها وأحس بنار تشتعل داخله.

اعترف في قرارة نفسه أن الزواج ينجح مع بعض الأشخاص. فبروس وأوليفيا أكبر برهان على ذلك. إنه كذلك يغبطهما على تعاطفهما نحو بعضهما البعض... لكنهما الاستثناء وليس القاعدة. ذكّر نفسه بأرقام الاحصاءات حول حالات الطلاق. وحتى إن لم تكن هذه الأرقام سبباً للاكتئاب، فإن الزواج لم يخلق له. فحياته مركزة على عمله، ولم يكن يشعر بالرغبة في تعديل حياته لتناسب حياة شخص آخر. وحدث نفسه بحزم: «لا

أستطيع تعديل الكثير على أية حال. فممارسة الطب في بلدة سميثشاير تتطلب منه حضوراً دائماً في الليل والنهار.»

عادت صورة سيلينا لتملأ خياله من جديد، فور وصوله إلى الباحة الأمامية لمنزل الطبيب فقال: «أتمنى أن تأخذ بنصيحة العجوز وتجد لنفسها زوجاً.» انقبض فكه وأضاف: «لكنني لن أكون هذا الزوج.»

كانت سيلينا تصب أول فنجان قهوة لها في الصباح الباكر حين لمع الضوء في مطبخها مرتين. لأن معظم المصابيح في منزلها تتصل أوتوماتيكياً بالجرس، بحيث ينطفىء الضوء، ويعود من جديد إذا رن أحدهم جرسها. تجهمت وهي تعلم أنه سيكون اجتماع صباحي آخر مع جدتيها. سارت نحو الباب، وكانت دهشتها حين فتحته. فقد وجدت جديها أمام الباب، وهما رجلان مسالمان لا يحكمان على أي شخص إلا بعد معرفة وثيقة به، ولم يتدخلا قط في حياة ولد من أولادهما أو أحفادهما.

«تفضلا.» قالت لهما وقد تنحت جانباً لتسمح لهما بالدخول.

«صباح الخير يا صغيرتي.» قال رالف تراير وهو يعانق حفيدته.

«صباح الخير.» ردد أموس وارلي وهو ينتظر دوره لمعانقة حفيدته.

رأت سيلينا علامات التعب على وجهيهما بعد أن عانقتهما، فشعرت بالذنب. إنها لا تحب الإساءة إلى أحد

www.rewity.com

من أفراد عائلتها، لأنهم جميعاً يعاملونها بكل حب.

قال رالف ترايز: «لسنا ماهرين في لغة الإشارة هذه.» وأشار بأصابعه بشكل متعثر. «لكننا لا نريد أن نعتمد فقط على قدرتك على قراءة الشفاه. نريد أن نتأكد من فهمك الكامل لما سنقوله لك الآن.» وأشار برأسه إلى رسالة يحملها أموس وارلي. «لذا كتبنا لك رسالة مفصلة.»

وقالت سيلينا بلهجة اعتذار واضحة: «آسفة، أعلم أنني سببت لكما انزعاجاً بالغاً.»

أخذ رالف ترايز حفيدته بين ذراعيه وعانقها مرة أخرى. ثم تراجع قليلاً، ليظهر لها حركات شفتيه. «إفعلي ما تشعرين بأنه مناسب لك.»

ربت أموس على كتفها وهو يقول ببطء حتى تفهم كلامه. وحاول استخدام الإشارات أيضاً. «لكل منا حياته الخاصة.»

وقالت والدموع تترقرق في عينيها: «شكراً لكما.»

قال أموس وهو يلمس خدها بلطف: «اهتمي بنفسك جيداً يا فتاة. أما الآن فسأعود للاهتمام بمزروعاتي.»

تقدم رالف وعانقها ثم تبع أموس إلى الخارج.

شعرت سيلينا برغبة شديدة في البكاء، وهي تراهما يصعدان إلى شاحنة أموس. كم كانت محظوظة بوجود جديها قربها، لأنهما محبان وتستطيع الاعتماد عليهما دائماً. كم أتمنى الزواج من رجل مثلهما. فكرت في ذلك وهي تعرف أنها لم تلتق مثل هذا الرجل في حياتها وعادت من جديد لتتذكر ريد بريسكوت. إنه طبيب لابد أنه يهتم بمن حوله، وقد أخبرها العجوز بأنه أهل للثقة. لكنه لا يريد

الزواج. ذكرت نفسها بهذه الحقيقة. وحتى إن تزوج فلن يختارها.

حملت الرسالة إلى المطبخ، حيث جلست قرب الطاولة لتقرأ في رسالة جديها عن حبهما لها وتعلقهما بها، ووضحا لها أنها تبحث عن متاعب لم تعرف مثلها من قبل، في حال نفذت ما تنوي عليه. وختما الرسالة بالقول، إنهما معها وسيقفان إلى جانبها مهما قررت.

وتمتمت لنفسها وهي تمسح دموعها. «لقد تعقدت الأمور كثيراً. لا أريد أن أؤذي أحداً ولا أن أتسبب بألم لأي شخص.»

قامت بعد ذلك وارتدت ملابسها استعداداً للذهاب إلى العمل، واعترفت ضمنياً أن حجتها أصبحت ضعيفة. «ربما يجب أن أبحث عن زوج مرة أخرى.»

جلس ريد يشرب قهوة الصباح على شرفة منزل الطبيب، وقد استرخى بتأثير نسمات الهواء الدافئة. الجو رائع في هذه البلدة التي تقبع بين أحضان جبال ماساشوستس، لقد عاش معظم حياته في مدن كبيرة، لكنه طالما حلم بمثل هذا المكان ليعيش ويستقر فيه. وطالما أراد ممارسة الطب العائلي كما يفعل الدكتور جايمس.

لكنه ما زال يدفع ديون تعليمه في كلية الطب، وهو لا يملك المال الكافي لشراء عيادة وإن لم يتمكن من التعاقد مع الطبيب العجوز سيضطر للبحث عن طبيب آخر يريد مساعداً له. لمع السخط في عينيه فهو لا يحب أن يكون تحت سيطرة أحد. إنه يحب حريته واستقلاله.

تجهم وجهه، لتظهر خطوط التعب الذي أصابه من قلة

www.rewity.com ريفيتي

النوم. فهو يعلم أن الطبيب قال الحقيقة حين ذكر له أن براين سميث يريد طبيباً متزوجاً مستقراً في سميثشاير. وقد تذكر ريد دعوة براين سميث له على العشاء منذ حوالى أسبوعين. حيث قال له: «إن الدكتور جايمس أخبرني عن مهارتك كطبيب.» لكنه كان حازماً بخصوص شرط الزواج فقد قال حينها: «عدم زواج الطبيب يفتح مجالاً أمام ثرثرة الناس وغضب الأزواج.» ثم تابع: «والاستقرار وضع صعب بالنسبة لرجل غير متزوج، فبعد أن يبدأ الناس في التعامل معك كجزء من مجتمعهم، قد تحلو لك حينها فكرة الرحيل. أو قد تقع في حب امرأة لا تود البقاء في بلدتنا الهادئة المعزولة. لن يناسبنا أن نبدأ فجأة بالبحث عن طبيب غيرك.»

أكد له ريد أنه يعامل جميع مرضاه بروح الطبيب ومصداقيته وأنه لن يترك مجتمعهم الصغير دون عناية طبية ملائمة. في ذلك الوقت لم يكن ريد متأكداً من إصرار عائلة سميث على شرط الزواج. والآن تأكد أنهم لن يوافقوا عليه عازباً وأن الطبيب العجوز كان ينقل إليه ليلة أمس رسالة شفهية من براين سميث نفسه.

جلس في كرسيه باسترخاء ورفع قدميه إلى حافة سور الشرفة، وعاد ليتذكر سيلينا وارلي. لا ينكر أنه يجدها جذابة، والحقيقة أن شعوره قوي تجاه هذه المرأة وهو ما زال حتى الآن مذهولاً من تأجج عواطفه حين يكون قربها. ولكن، أن تكون زوجته؟

وقطع حبل أفكاره صوت أنثوي: «سمعت أنك ترى أمينة المكتبة كثيراً.»

نظر ريد في اتجاه الصوت، ليرى دورين تروى مدبرة منزل الطبيب العجوز. إنها سيدة في منتصف الخمسينات ولها ولدان يافعان. وزوجها واليس هو الحلاق الرجالي الوحيد في سميثشاير. ودورين تعيش في البلدة منذ مدة طويلة جداً، وتعرف جميع سكانها. ولم يعتقد ريد يوماً أنها من محبي الثرثرة والإشاعات، لكنه يرى في عينيها هذا الصباح بريق الفضول. وتذكر فجأة وضعه الاجتماعي إذا نفذت سيلينا ما تريده، وأنجبت الطفل. مهما دافع الطبيب عنه وقال إنه ليس الوالد، سيبقى الشك به قائماً. وبذلك ستنهار أمامه أية فرصة محتملة في أن يسمح له براين سميث بمشاركة العجوز عيادته. قال لها بحزم: «كنت أستشيرها في مسألة طبية.»

خاب أمل دورين. هذا مؤسف: «أنا أحب سيلينا كثيراً. كنت أتمنى أن تجد لنفسها رجلاً لطيفاً وتتزوجه. وأعرف أن عائلتها قلقة كثيراً عليها. لأنهم سيشعرون بأمان أكبر إن كان بجانبها رجل يحميها. مع العلم أننا نحن النساء عادة ما نقوم برعاية الرجال في معظم الأوقات، ولكن لا يوجد أجمل من وجود رجل قوي للاتكال عليه عند الضرورة.» هزت دورين رأسها بعد إلقاء هذا التصريح وكأنها تؤكد أهمية كلامها، ثم دخلت المنزل.

تمتم ريد. «هذا ما يبدو لي، إن كنت سأبقى في هذه البلدة، فلا بد من أن أتزوج سيلينا وارلي.»

www.rewity.com

الفصل الرابع

نظرت سيلينا إلى الكتاب الذي أعادته للتو إلى مكانه على الرف. كان رواية أدبية. وبدلاً من تنظيمه حسب اسم المؤلف، استخدمت أول كلمة من العنوان. «على الأقل أنا في القسم المناسب من المكتبة.» قالت ذلك ساخرة من نفسها وهي تحمل الكتاب من جديد إلى الرف المناسب. وتساءلت وهي تضعه في مكانه، عن عدد الكتب التي رتبتها في غير مكانها هذا الصباح.

قررت أن تتوقف قبل التسبب بالمزيد من الأخطاء، فسحبت نحوها عربة الكتب المتحركة. لقد كانت تحاول التركيز على عملها، بدل التفكير وإضاعة الوقت في خطط إنجاب الطفل. لكن كلمات رسالة جديها كانت تدور في مخيلتها إلى جانب صور وجوه جدتيها وعمتها اديل القلقات عليها. ربما كانوا على حق. عندها عملها وعائلتها، لا داعي للشعور بالوحدة إذن. ربما كانت رغبتها في إنجاب طفل، مجرد مرحلة من مراحل قلقها النفسي. ثم فكرت، ربما، مع الوقت، سأنسى كل ذلك.

رأت الين فوغ قرب طاولتها وهي معلمة في الخامسة والعشرين من عمرها وإلى جانبها تقف برندا نوروود، مساعدة سيلينا، وكانت السيدتان تراقبان سيلينا.

وقالت سيلينا لمساعدتها برندا وهي تتجه نحوهما: «هل يمكنك إرجاع بقية الكتب؟»

أومأت برندا وهي تبتسم نحو الين ابتسامة غامضة، ودفعت عربة الكتب لتبدأ عملها.

صرت الين أسنانها وهي تلمح رسالة فوق الكتب. نظرت إلى سيلينا التي جلست تقرأ رسالتها وقالت: «إنه الدكتور بريسكوت أليس كذلك؟ الرجال يتسببون دائماً بارباك المرأة حتى تبدأ بالتحدث إلى نفسها.»

من العجيب حقاً أن الناس لم يخطبوني بعد إلى ريد بريسكوت وهم ينشرون مثل هذه الشائعات. فكرت سيلينا في ذلك وقد اضطرت للابتسام لها قائلة بحزم: «أنا والدكتور بريسكوت مجرد معارف. لا علاقة له بشرودي أو حديثي مع نفسي.»

احمرت الين خجلاً وكتبت إليها على رقعة من الورق: «آسفة لم أقصد التجسس عليك.»

«لا بأس.» قالت سيلينا وقد أخذت الكتب التي اختارتها الين وبدأت بتسجيلها. لكن حين انتهت وأعادت الكتب للسيدة الشابة، لاحظت تردد الين وعدم راحتها.

كتبت الين لها ورقة أخرى، وقد لمعت السعادة على وجهها حين قدمتها لسيلينا. «اكتشفت أني حامل. وأنا سعيدة جداً لكن أعصابي متوترة مع أن الطبيب أكد لي أن كل شيء على ما يرام. لكن ربما لأنها المرة الأولى. وكنت أتساءل إن تكرمت بلمسي. سأكون محظوظة جداً وسأتأكد من سلامة وضعي.»

اعتادت سيلينا على مثل هذا الطلب وتساءلت في نفسها عن رأي ريد بريسكوت إن علم بالأمر. لا بد أنه سينفجر في وجهها مرة أخرى وقالت لها: «إذا وعدتني بمتابعة زيارة الطبيب.»

www.rewity.com

فقالت الين مؤكدة: «طبعاً.» وأدركت فجأة أنها تحدثت معها بدل أن تكتب، فمدت يدها بسرعة لتأخذ القلم والورقة.

«فهمت.» قالت سيلينا وهي تمد يدها لتمنعها من الكتابة.

خجلت الين مرة أخرى فتركت القلم من يدها ووقفت أمام الطاولة.

نظرت سيلينا حولها للتأكد من عدم وجود أحد في المكتبة سواهما وبرندا مساعدتها، ثم استدارت لتقف قرب الين. وضعت يدها على بطن السيدة الشابة، وطفح وجهها بابتسامة رقيقة. «الجنين على ما يرام.» ثم تحولت ملامح وجهها لتقول بجد: «لكن يجب أن تهتمي بنفسك جيداً. وتستمري بزيارة الطبيب بانتظام.»

«تبدو لي نصيحة ممتازة.»

وشاهدت سيلينا الين تلتفت مذعورة فنقلت نظرها خلف المرأة، لتجد ريد بريسكوت يقترب منهما، وتعابير وجهه تدل على نفاد صبره.

فجفلت الين من نظرته إليها. فقالت لسيلينا وهي تأخذ مجموعة الكتب وتتجه نحو الباب: «من الأفضل أن أذهب حالاً.»

«تمارسين الطب من جديد دون إجازة.» أشار ريد بيديه بعد أن وقف وحده مع سيلينا.

فأجابته بنبرة صادقة: «لم أكن أمارس الطب. من الطبيعي أن تقلق المرأة على حملها إنهن يردن الاطمئنان على الجنين.»

«وبعد الاطمئنان منك يعتقدن أن زيارة الطبيب غير ضرورية.» تحدث معها مشيراً بيديه بغضب واضح.

«كلا!» حملقت فيه. «أنا أصر دائماً على استشارة الطبيب وكما أخبرك الطبيب بنفسه، أنا أخبره دائماً عن كل من يأتي لزيارتي.» ثم أضافت لتتأكد من فهمه الكامل لعلاقتها مع الطبيب: «إذا شعرت بأي شيء غير طبيعي، أخبر الطبيب عنه حتى يجري المزيد من الفحوصات الطبية، ويراقب الأم بشكل أدق.» فكرت لبرهة بأن ريد لن يستمع إلى كلامها إن تولى مكان الطبيب. لكنها ستخبره بكل ما يحدث معها. لأن ضميرها لا يسمح لها بغير ذلك.

فأجابها ريد: «قال لي إنه الأسلوب المتبع بينكما.» قال ذلك وهو يمرر يده في شعره، فهو لم يأت إلى هنا ليتشاجر مع هذه المرأة ثم قال محدثاً نفسه: على أية حال فإن سبب زيارته مضحك جداً. وبرغم رغبته القوية في الانصراف، إلا أنه يعرف تماماً، أنها في حال وافقت هي على اقتراحه سيراقبها جيداً وبذلك يضمن أن لا تشكل خطراً على أحد من سكان البلدة. قال بحزم: «ألا يوجد مكان نتحدث فيه على انفراد؟»

نظرت سيلينا في أرجاء المكتبة لتتأكد من عدم وجود أي شخص يريد مساعدة منها. ثم توجهت إلى مكتبها الموجود في الناحية الخلفية.

أغلق ريد باب الغرفة ليتأكد من سرية الحديث، ثم استدار نحوها. كانت تراقبه بحذر وكأنها تريد أن تتأكد مما إذا كان يزورها كعدو أم صديق. قال في نفسه لن توافق على طلبي أبداً. وكأن شعوره بالغباء يزداد لحظة بعد لحظة.

وابتدأ يتحدث مشيراً بيديه في نفس الوقت: «فكرت في اقتراح الطبيب ليلة أمس.»

www.rewity.com

رأت سيلينا علامات التوتر على وجهه. من الواضح أنه لم يرغب في الحضور إليها، فكرت بذلك، وهي تتساءل عن الشيء الذي دفعه لزيارتها بعد حديث الطبيب.

لم يعرف ريد من أين يبدأ حديثه فقال: «طالما تزوج والداي من أجل الحب. وقد مرا بهذه التجربة ست مرات، خمس زيجات منها لم تنجح. ولا أعرف إن كان زواج أمي الحالي سيصمد. لكني شخصياً أعتقد أنه لن يدوم أيضاً.»

سكت ريد وهو يفكر: هذا جنون.

توترت أعصاب سيلينا وهو يقف أمامها في صمت. وقالت له وكأنها تشعر أنه بحاجة للرد عليه: «ربما لم يفهما معنى الحب الحقيقي. ربما لم يدركا قيمته الحقيقية. ربما اعتقدا أن الحياة كلها أفراح وورود. ربما لم يفهما أن للزواج جوانبه العملية أيضاً.» وحدثت نفسها: إنها تتزلّف ... ولاذت بالصمت.

وافقها ريد قائلاً: «أجل، هناك ناحية عملية.» ذكر نفسه بما فكر فيه قبل حضوره لرؤيتها وما توصل إليه من حل معقول لمشكلاته ومشكلاتها. فتابع كلامه: «لهذا السبب جئت إليك. كنت أفكر في الناحية العملية للزواج. أعتقد أن الزواج ينجح إذا كان الطرفان مستفيدين من هذا الاتحاد. من جهتي أريد ممارسة الطب مثل العجوز وأريد البقاء هنا في سميثشاير. لكني، في الوقت الحاضر، لا أستطيع شراء عيادة ومعدات خاصة بي. ولكي أبقى هنا أنا مضطر للتعاقد مع عائلة سميث. وأنت تريدين طفلاً. إذا تزوجت، تحصلين على هدفك وتحافظين على راحة بالك، ووضعك السليم في هذا المجتمع. وبذلك لا تعاني عائلتك من أية

مشكلات. وأنا أريد تسديد بعض الديون المترتبة عليّ من أيام الجامعة. لكني أستطيع أن أؤمن عيشاً كريماً للأطفال الذين سننجبهم.»

تمنت سيلينا أن تبدو بشكل طبيعي. فاتكأت على الكرسي، لكنها كانت بحاجة للمساعدة. لم تكن متأكدة من قدرتها على البقاء متماسكة. ذلك أن ردة الفعل عنده بالنسبة لاقتراح الطبيب أوحت لها بأنه يرفضها بشكل تام. لكنها تسمع منه العكس تماماً الآن. «هل تطلب يدي للزواج؟» وسألته وهي تشعر بضرورة التأكد من فهمها الكامل لما يطلبه منها: «هل تطلب يدي للزواج؟»

فرد عليها وهو يشعر بضياء تام بعد أن رأى ملامح الذهول على وجهها: «كما قال الطبيب، فإن الزواج هو الحل العملي لمشكلاتنا.»

من الواضح أنه يتفق مع الطبيب في أن زواجهما سيحل جميع مشكلاتهما، ولكن يبدو أن سيلينا لا توافقهما الرأي. تصلب ظهره بكبرياء. «يبدو لي أنك لا توافقين على طلبي. آسف فقد عطلتك.»

كانت سيلينا تراقبه بحذر خائفة من صدور أية حركة أو إشارة. إنه على حق بشأن عائلتها. زواجهما سيرضيهم وسيجعل حياتها أسهل. ويجب أن تعترف أيضاً، بأنها لا تمانع في الارتباط به. تدفقت في عروقها طاقة غريبة حين رأته يتجه نحو الباب. انحنت تجاهه بسرعة وأمسكت ذراعه، فشعرت بحرارة تسري في جسدها فتركته وهي تقول: «فرصتنا في نجاح زواجنا أقل من خمسين بالمئة. لكنك على حق بخصوص عائلتي، وبأن الوالد الحقيقي

www.rewity.com ريما

بالنسبة للطفل أفضل بكثير من أن يكون والده خلية متجمدة.»

ارتبك ريد من ترددها البادي في عينيها. على أية حال، يجب ألا تعتبره زوجاً سيئاً، خاصة إذا فكرت بالحلول البديلة المتاحة لها. ثم سخر من نفسه. فهو وسيلينا وارلي لم يكونا صديقين، إنهما مجرد معارف، من المدهش حقاً أنها لم تسخر منه أو تطرده خارج مكتبها. وسيكون من الأفضل لكل منهما اختيار أحد هذين الحلين. وبرغم هذا كله سمع نفسه يقول لها: «حسب الاحصاءات المنشورة فإن نسبة ٥٠٪ معدل جيد لانجاح الزواج في هذه البلاد.»

فأجابته وهي تحاول التفكير بوضوح: «إنك على حق.» شعرت بدوار خفيف من شدة خفقان قلبها. «يمكننا أن نجرب على أية حال.» اضطرت لمقاومة دهشتها حين أدركت ما قالته.

فوجيء ريد بفيض السعادة التي شعر بها بسبب قبولها اقتراحه. وادعى في نفسه أن سبب ذلك هو رغبته كرجل في الوصول إلى مراده وتحقيق أهدافه. وقال وهو يحافظ على أسلوبه الرسمي: «أنا سعيد بموافقتك.» كانت رغبته قوية في البدء بترتيبات هذا الزواج خوفاً من أن تغير رأيها، لكن المرضى ينتظرونه في العيادة. «يجب أن أعود الآن إلى العمل.» أكمل حديثه بنفس الأسلوب: «وسأحضر حوالى الساعة السادسة لنخرج ونتعشى، ونحدد موعداً للزواج.»

وردت سيلينا: «السادسة.»

هز ريد رأسه موافقاً. ثم غادر المكان.

شعرت سيلينا مرة أخرى بأن ساقيها أضعف من أن

تحملاها، فجلست على كرسي قريب. لقد وافقت للتو على الزواج من رجل غريب تماماً. ذكرت نفسها. «كنت أفكر في إنجاب طفل من رجل لا أعرفه تماماً.» وطبعاً لم تكن مضطرة لمشاركة هذا فراشه. وتخيلت منظر ريد بريسكوت، فاجتاحتها قشعريرة باردة.

لمحت الضوء فوق باب مكتبها يلمع. وقفت لتفتح الباب وهي ما تزال تشعر بضعف تام في ساقيها. ولكن، قبل أن تتقدم خطوة دخلت عمتها. اديل وارلي، في الخمسين من عمرها. ممتلئة الجسم جميلة الملامح. لم تتزوج قط. لأنها أحبت رجلاً في شبابها وخطبت له، وقد كان جندياً، ذهب إلى الحرب ولم يعد، ولم تجد هي من يحل مكانه. بدلاً من ذلك اتجهت نحو التجارة وبدأت بالعمل في مجال الخياطة. وأسست في الطابق السفلي في منزلها، المتجر الوحيد في البلدة حيث تبيع الملابس الجاهزة بالإضافة إلى الملابس التي تصنعها بنفسها. قالت اديل: «رأيت الدكتور بريسكوت يغادر المكتبة وأنا أدخل.» أغلقت اديل الباب خلفها خوفاً من أن يسمعها أحد، ثم توقفت عن الحديث بصوت مرتفع وبدأت تشير بيديها: «هل ما زلت مصرة على البحث عن خلية مجمدة لإنجاب طفلك؟»

ضحكت سيلينا من طريقة عمتها الساخرة وقالت: «لا.» وهي تود أن تقول لها كل ما حدث بينها وبين الدكتور بريسكوت، إلا أنها أوضحت: «قررت التفكير بخيارات أخرى.»

دققت اديل في ملامح وجه ابنة أخيها وقالت: «لا أفهم رغبتك في إنجاب طفل. أنا سعيدة جداً وحدي، غير

www.rewity.com ريوايتي

ملتزمة، حرة في الخروج والعودة في أي وقت، دون الالتزام بشخص آخر. طبعاً أصبحت معتادة على حضور أفراد العائلة طلباً للعون حين يواجهون مشكلة. ولا حاجة لتذكيرك بأن منزلي لا يخلو من الزوار، أو لأن أقول لك كم أحبك وأحب الآخرين. ولكن، كل منا يسير لتحقيق هدفه من الحياة.» لمعت نظرة رجاء في عينيها وتابعت: «لكنني أتمنى أن يكون البحث عن زوج ضمن خياراتك الأخرى.»

فكرت سيلينا مرة أخرى باطلاع عمتها على نيتها في الزواج من ريد بريسكوت لكنها قالت: «هذا صحيح.»

أكملت اديل حديثها وهي تشير لتتأكد من فهم سيلينا الكامل لعباراتها: «أعرف أنك سئمت من سماع الناس يتحدثون في هذا الموضوع. لكننا نحبك ونريد لك الخير. وإذا أردت تنفيذ خطتك سنبقى قربك وسنساعدك. إنما الناس سيتحدثون عنك بالسوء، ولن تكون الحياة سهلة ومريحة للطفل. بعض الأولاد قساة يحبون إذلال غيرهم من الصغار. وطفل من دون والد سيكون أضحوكة بالنسبة لهم. كما أن بعض الكبار أيضاً من ذوي التفكير المحدود سيضايقونك ويضايقون طفلك. إنها الحياة.»

فقالت سيلينا: «أعلم ذلك.» إنها الأسباب التي أضعفت عزيمتها. لكنها تعبت من تكرار نفس الحديث مع جميع أفراد عائلتها، نظرت إلى ساعتها بسرعة وقالت: «يجب أن أجهز كتباً لطلاب الصف السادس لأنهم قادمون لكتابة بحث.»

رفعت اديل يدها. «أعرف متى أكون مطرودة.» وابتسمت

لسيلينا ابتسامة مشجعة، تبين لها أنها لا تعتبر كلامها إهانة. ثم عانقتها بقوة. وغادرت المكتب.

تنهدت سيلينا بعمق. لم تخبر عمتها عن خطبتها مع ريد بريسكوت لأن القصة كلها تبدو غير حقيقية. فهو لم يقبلها. ملأها فجأة شعور بالقلق. ماذا لو ظهرت أمام زواجها أي عقبات طبية؟

تنهدت وقد بدأت تشعر بدوار. «سأفكر بذلك في ما بعد.» وعدت نفسها بذلك واستعدت لمغادرة المكتب.

حان الموعد، ولم تفكر منذ ساعتين تقريباً سوى بطلب الدكتور بريسكوت يدها. اجتازت غرفة الجلوس لتنظر من النافذة. ورأته يسير في ممر الحديقة. ولاحظت التناسق بين كتفيه العريضتين وساقيه الثابتين. تفكيرها الأنثوي حول تناسق جسده جعل الدم يتدفق إلى وجنتيها، وبطريقة ما اختفت من رأسها هواجس العقبات الطبية.

لكنها شاهدت ملامح وجهه المنقبضة حين اقترب منها، فانخفضت ضربات قلبها بسرعة، وهدأت أعصابها. «لا بد أنه غير رأيه.» فكرت بذلك وهي تعاني من خيبة أمل حادة. إلا أن الكبرياء منعها من إظهار ما يعتمل في نفسها حين استقبلته أمام مدخل منزلها.

توترت أعصاب ريد، فقد انتظر طوال اليوم دخول أحدهم عليه مستفسراً عن خطبته. لكن أحداً لم يتحدث معه حول هذا الموضوع. سألها فور دخوله المنزل: «بما أنك لم تخبري أحداً بشأن خطبتنا يمكنني أن أفترض أنك غيرت رأيك.» خرج سؤاله هذا بجفاء إذ لم يكن مزاجه مناسباً للمجاملة.

www.rewity.com

سكتت سيلينا برهة قبل أن ترد عليه، ونظرت إليه بامعان. كانت تعابير وجهه مشتتة. لم تستطع أن تخمن إن كان يهتم برأيها أم لا. وردت عليه وقد دفعها صدقها إلى الاعتراف: «لم أخبر أحداً لأني رغبت في أن أعطيك فرصة أخرى للتفكير. وقد أردت أنا أيضاً بعض الوقت للتفكير.»

شعر ريد بالضجر. كان يعرف أن غضبه منها غير منطقي. فقد كانت تتصرف بطريقة منطقية جداً. وكان هو يتصرف بذات الرجل وكبريائه. «والآن، بعد أن فكرت بالموضوع، ماذا قررت؟»

حتى تلك اللحظة لم تكن سيلينا متأكدة مما ستقوله له. ولكن، بعد أن رأت أصابعه تتحرك أمام عينيها فكرت به يضمها إليه فانتابها شعور قوي بالرغبة في البقاء قربه فردت عليه: «قررت أن إنجاب الطفل بعد الزواج أفضل بكثير من إنجابه بطريقة طبية.»

ظهرت ابتسامة رضى على زوايا فمه وقال: «جيد.»

ذهلت سيلينا من تعابيره، فقد بدا لها مسروراً بقبولها، فسألته وقد بدت دهشتها من ثقته الواضحة في عينيها: «هل تعتقد حقاً أن زواجنا سيكون ناجحاً؟»

فأجاب: «أعتقد أننا قادران على البقاء معاً حتى تحقيق أهدافنا المشتركة.»

فعلقت على كلامه بجرأة: «زوجان عمليان لزواج عملي.» وابتسمت لتخفي الشك الذي انتابها. «إنه الحل المثالي لنا.»

أحب ريد ابتسامتها بما تحويه من غموض ودعابة وقال

مشيراً بيديه بشيء من المبالغة: «ها نحن قد اتفقنا لنقف معاً.»

اختلطت الإثارة بالخوف في نفس سيلينا وخاطبت نفسها: هيا تصرفي وكأنك تقومين بمغامرة. فأضافت إلى جملته: «أو نقع معاً.»

شعر ريد بصداقة حميمة تربطه بهذه المرأة ذات العينين البنيتين. «والآن لنبدأ المغازلة.» مد يده إليها وكأنه يحمل باقة زهور قائلاً: «لقد حجزت لنا مكاناً في مطعم ماري غولد واين رايت، مائدة لشخصين قرب النافذة.»

قبلت سيلينا عرضه متوترة الأعصاب، وأمسكت بيده التي مدها إليها. فماري غولد تدير فندقاً من الطراز القديم يقع خارج البلدة، ويرتاد فندقها صيادو السمك في فصل الصيف. وفي فصل الشتاء، يأتي المتزلجون من كل صوب. ويعد طعامها من أشهى ما يقدم في المنطقة. لهذا السبب، وعلى مدار السنة تجد عندها سكان المنطقة بالإضافة إلى عدد كبير من الزوار. وقالت له وهي تصعد إلى السيارة قربه: «اختيار مناسب كي نأكل ويشاهدنا الناس.»

هز رأسه موافقاً وأغلق الباب خلفها.

انتهى العشاء على ما يرام، فكرت سيلينا بذلك بعد تناول القهوة بحوالي ساعتين. تحدثا عن الطعام، الطقس والكتب وبرامج التلفاز والرياضة التي تهتم كلاً منهما. لقد بديا لكل من يراهما وكأنهما في جلسة تعارف. وقد رآهما في الواقع عدد كبير من الناس. فبالإضافة إلى عدد كبير من سكان المنطقة الذين وقفوا قربهما للتحية، جاءت ماري غولد بنفسها لتطمئن على راحتهما.

www.rewity.com

قالت لريد وهما يدخلان غرفة الجلوس في منزلها: «غداً سينتشر خبر خروجنا معاً.»

فسألها بعد أن جلسا، ريد على الأريكة وسيلينا على الكرسي القريب منه: «ما هي المدة التي تحددينها قبل إعلان الخطبة رسمياً؟»

اعترتها موجة من القلق، حاولت السيطرة على نفسها وقالت: «جدتي تروبر قالت إنها وجدي أعلنا الخطبة بعد أسبوع من تعارفهما. جدي يقول إنه أحبها وأرادها من أول نظرة. لكن الأمر استغرق بضعة أيام ليقنعها بذلك. أما جدي وجدتي وارلي فقد أحبا بعضهما في المدرسة الثانوية ووعدا والديهما بعدم الزواج قبل التخرج من الجامعة، لذا فقد كانا شبه مخطوبين لمدة ثلاث سنوات. ووالداي تعرفا إلى بعضهما البعض فترة شهرين تقريباً وانفصلا فترة، ثم رجعا إلى بعضهما بعد أسابيع فأعلنا خطبتهما بعد شهر واحد تقريباً.»

جلس ريد ينظر إليها، وقد زادت رغبته في ضمها إليه للتعرف إليها بطريقة حسية. وقد اعترف بينه وبين نفسه بأنه عانى كثيراً هذا المساء في محاولة ضبط نفسه للبقاء بعيداً عنها. وحدث نفسه: لم أر أفق سيدة منذ فترة طويلة. ثم قال: «بما أننا نعرف ما نريده تماماً فلا يوجد سبب لتأخير الزفاف أكثر من اللازم. ما رأيك لو نتبع ما فعله جدك تروبر. هذا يعني أنني أزورك هنا للمرة الرابعة على التوالي. سننتظر أسبوعاً آخر. ثم نعلن الخطبة رسمياً.»

زاد فجأة شعورها بالقلق، لكنها حاولت تجاهله قائلة: «هذا يناسبني.»

«هل تريدين حفل زفاف كبيراً أم مجرد احتفال عائلي؟»

كانت سيلينا قد فكرت قبل ذلك بحفل الزواج الذي تتمناه قبل أن تقتنع نهائياً بعدم وجود رجل يناسبها فأجابته: «أريد أن أتزوج في الكنيسة مرتدية ثوب زفاف أمي. وأريد أن تحضر عائلتي. ولا أهتم بشيء أكثر من ذلك.»

تنهد ريد براحة، فقد تمنى ألا تطلب منه حفل زفاف ضخماً. فسيلينا كانت تثبت له لحظة بعد أخرى أنها سيدة منطقية. وقال: «سنقيم حفلة عائلية إذاً. سأدعو عائلتي وسأطلب من الطبيب أن يكون الاشبين.»

شعرت سيلينا بثقل في معدتها بعد تناول العشاء. لقد كانا يخططان فعلاً لحفلة الزفاف. كانت تعرف أنها قبلت الزواج منه، لكنها فكرت ثانية في أنها لا تعرفه أبداً. وأكدت لنفسها: إنه رجل شريف وإلا لما اقترح الطبيب الاقتران به. بالإضافة إلى أنهما لن يتشاركا حياتهما فعلياً. سوف تنجب منه الطفل الذي تريده. وهي ستكون الزوجة التي تؤمن له عقد العمل.

حاولت سيلينا السيطرة على أفكارها التي تتضارب في رأسها لدرجة أنها لم تر سوى حركات أصابعه ولم تفهم منه سوى كلمة: «سأذهب. وعندي عمل شاق غداً.» ثم رأته يقف.

وقفت هي أيضاً ورافقته حتى الباب.

وقف ليقول لها طاب مساؤك، وهو يعلم ضمناً أنه يود تقبيلها. فشعوره بعدم الصبر على بعدها زاد كثيراً. وقال لنفسه: سوف يخيب أملي حتماً. وسيكون هذا الصالحه طبعاً فهو لا يود أن يزيد إعجابه بها عن الحد. ثم تمتم ليزيل

التوتر الذي تسببه له إنها حاجة جسديه ليس إلا. وصمم على ألا يدعها تعرف مدى اهتمامه بها فأخذ يدها بلطف وسحبها إلى الخارج ليقفا على الشرفة الأمامية وقال: «فكرت بتقبيلك هنا حتى يرانا الجيران إن مروا بالقرب من منزلك.»

أمسك يدها بلطف فشعرت بتيار كهربائي يعصف بها. أحست بضعف في ساقيها بعد إعلانه الصريح هذا. وقالت لنفسها: إنك تتصرفين كفتاة مراهقة. لكنها أحست بجسدها ينبض محذراً إياها منه، بعد أن ترك يدها ووضع كفيه على وجهها.

لم يفكر رايد بأنه قد يلمس في حياته امرأة بهذه الرقة. عبث بأصابعه في شعرها ونظر بعمق في عينيها الجذابتين.

نظرت سيلينا في عينيه الزرقاوين فتذكرت سماء الصيف الحار، وبدأ قلبها ينبض بقوة لدرجة أنها خافت أن يسمعها.

رأى رايد لمعة عدم الثقة في عينيها، لكنها ما لبثت أن تحولت إلى وميض شغف وسره أنها لم تكن محصنة ضده. اقترب منها وقبلها ببطء.

رأى رايد رغبته تنعكس في عينيها فقال وهو يشير بحركات حادة ويحاول جهده عدم جذبها نحوه من جديد: «اتفقنا إذاً على أسبوع للتعارف، وآخر للتخطيط للزواج.»

«أجل.» أجابته وصوتها يكاد يكون همساً.

وقال وهو يستدير مبتعداً: «سأحضر غداً في السادسة مساء.» وأضاف في نفسه بينما كان متجهاً إلى سيارته: «سأفكر بشيء نفعله في العلن.» لم يعجبه انجذابه الشديد

نحو هذه المرأة. وأكد لنفسه أن هذا الشعور لن يدوم. والدليل على ذلك ما يذكره عن زواج والديه المتكرر. من الواضح أن مثل هذا الانجذاب الجسدي القوي هو ما اعتقد والداه أنه الحب. لكنه كان يعرف الحقيقة. إنه نار تأججت بسرعة.

اتكأت سيلينا على سور حديقتها تراقبه وهو يبتعد عنها. سمعت عن مثل هذا الانجذاب نحو الرجل. لكنها كانت تعتقد أنها مبالغة في وصف المشاعر. والآن تأكدت من حقيقة هذه القصص. كانت دقات قلبها مسموعة والنار التي اشتعلت داخلها ما زالت متأججة. فقالت في نفسها. على الأقل لن أشعر بأية مشكلة أثناء تنفيذ اتفاقنا إنجاب طفل.

www.rewity.com

الفصل الخامس

«اتصل بي ثلاثة أشخاص هذا الصباح يستوضحون مني حول مشاريعك والدكتور بريسكوت.» كانت اديل تقول ذلك لسيلينا في صباح اليوم التالي بينما هما تجلسان في مطبخ سيلينا بانتظار غليان الماء لصنع القهوة. وكانت اديل قد وصلت إلى منزل ابنة أخيها في الصباح الباكر، وقالت تتابع حديثها: «قالت واحدة إنها معجبة بالدكتور بريسكوت منذ وصوله إلى البلدة ولكنها غير سعيدة بعلاقتكما، وطلبت مني أن أقول للجمع إن علاقتكما مجرد علاقة عمل، وإنه كان يستشيرك في حالة أحد المرضى. أما الاثنان الآخران فقد قالا أنكما ملائمان تماماً الواحد للآخر... الطبيب والمداوية.»

شردت سيلينا قليلاً وهي تفكر في أن سمعتها كمداوية هي سر غضبه الدائم منها. لا بد أنه سيثور حين يسمع هذا الكلام، وقد يلغي الزواج أيضاً.

راقبت اديل إبنة أخيها بمودة. «هل تفكرين بالدكتور بريسكوت كواحد من الاختيارات الأخرى التي أخبرتني عنها؟»

«أجل.» أجابت سيلينا، وهي تتساءل إن كانت الأمور ستتغير بعد الظهر.

تقلصت ملامح وجه اديل. «أتمنى أن تكوني قد خططت للزواج منه، وليس مجرد إغوائه. لأن سمعته ستتأثر بقدر سمعتك.»

ابتسمت سيلينا من كلام عمتها. فمجرد التفكير بأنها تقوم بإغواء ريد بريسكوت كان أمراً مضحكاً. لو لم يكن يائساً من البحث عن زوجة، ولو لم تكن هي بحاجة لزوج، لما اقترح الطبيب عليهما الزواج. فهي تعتقد أنه يعتبرها شخصاً بغيضاً هو يضطر للتقرب منه. فقالت لعمتها مؤكدة: «أعدك بأنني لن أنجب هذا الطفل قبل الزواج منه.»

تنهدت اديل وقد بدا عليها الارتياح.

لمع الضوء في مطبخ سيلينا فعلمت أن عدد ضيوفها قد ازداد.

وأشارت اديل بثقة: «أراهن بخمسة دولارات على أن الزائرين هم جدتاك.»

فأجابتها سيلينا وهي تعرف أن اديل على حق: «لا أضع رهاناً واضحاً كهذا.»

قالت ادنا وارلي وهي تدخل المطبخ، تتبعها غايل تابر: «لقد دعونا أنفسنا لزيارتك.» صمتت لحظة ونظرت إلى وجه حفيدتها ثم قالت بإصرار: «نريد أن نعرف إذا كانت مقابلاتك للدكتور بريسكوت مهنية أو اجتماعية.»

«اجتماعية.» أجابت سيلينا ولاحظت علامات الارتياح على وجهيهما.

وأشارت لها غايل: «أتمنى أن تكوني قد أعدت التفكير في مسألة إنجاب طفل بغير الطريقة الطبية.»

هزت سيلينا رأسها وقد رأت أنه الوقت المناسب لتطلعهن على خبر خطبتها. «في الواقع كنت سأذهب لزيارة العمة اديل. حتى ترى إن كان فستان زفاف والدتي بحاجة لأي تعديل.»

تحولت ملامح الراحة على وجوههن إلى نظرات قلق

www.rewity.com

وذهول. «ألا تعتقدين أنك تتصرفين بتسرع؟» وسألتها ادنا بالإشارات: «ألا تعتقدين أنك تتصرفين بتسرع؟»

«فهمت كلامك.» قالت سيلينا ذلك وصبرها يكاد أن ينفد. كانت تعرف أن الجميع يحبونها ولا يريدون لها إلا الخير. وعرفت أن سبب توترها وعدم صبرها هو عدم ثقتها في نجاح هذا الزواج، مع أنه كان أفضل الحلول بالنسبة لها. استدارت نحو جدتها تابر وقالت بصوت رقيق: «عرفت أنك لجدي إلى الأبد منذ النظرة الأولى.»

فقالت غايل مصححة: «جدك هو الذي علم ذلك. أما أنا فقد فكرت بعرضه أسبوعاً كاملاً.»

قالت ادنا والشك ظاهر على وجهها: «طالما اعتقدت أن الدكتور بريسكوت من الأشخاص الذين يفكرون جيداً قبل اتخاذ أي قرار.»

علقت سيلينا وهي تتمنى أن يكون كلامها مقنعاً لهن: «أعتقد أنه سيفكر أسبوعاً تقريباً قبل أن يعلن خطوبتنا، ولكني متأكدة من أنه يشعر نحوي كما أشعر تجاهه تماماً.» ورأت نظرات القلق على وجوههن، فزاد شعورها بالذنب وقالت: «لا تقلقن لن أحزن أبداً إن لم تصح توقعاتي.»

قالت لها غايل تابر والقلق باد على وجهها: «طالما كنت فتاة واقعية. إنني متأكدة أنك تسيطرين على الأمور مهما حدث.» وعرفت سيلينا أن جدتها تقول ذلك لنفسها أكثر مما تقوله لسيلينا.

حذرتها ادنا وإشارات يديها تظهر تهديداً واضحاً: «توقعات الإنسان تسبب له خيبة الأمل أحياناً.»

«سوف أكون على ما يرام مهما حدث.»

«ومهما سيحدث.» أكدت لنفسها بصوت مرتفع في تلك الأمسية وهي تراقب ريد يقترب من شرفتها. كانت ملامح وجهه منقبضة.

«يبدو أني أعطيتك مصداقية أكبر كمداوية، حين بدأت أغازلك.» كان الغضب واضحاً على وجهه وظاهراً بشكل حاد في حركات يديه: «أعتقد أن سكان البلدة يظنون بأن الزواج منك بمثابة تسليمك شهادة طبية. وسأضطر حتماً لوضع بطاقة جديدة على بابي: الدكتور بريسكوت طبيب عائلة، وسيلينا مداوية.»

فقالت له: «هل تعني أنك الغيت خطبتنا؟»

تنهد ريد بعمق وتأملها بصمت بضع لحظات. إنه يفكر في هذا الموضوع منذ الصباح. نظر إليها بدقة فبدت له أكثر جمالاً مما يذكرها، كما أنه يريد زوجة، فأجابها: «لقد انتهى. الأمر على الأقل سأكون قادراً على مراقبتك، إذا كنت قريباً منك.»

نظرت سيلينا إليه بذهول. «لا داعي للقلق علي ولست مضطراً لمراقبتي.»

وجد ريد نفسه يفكر بأنه يريد أكثر بكثير من مجرد مراقبتها. أراد أن يجذبها نحوه ويقبلها. ووبخ نفسه: إنني أفكر كمراهق يتشوق لصحبة امرأة. حسناً الزواج يعالج هذه المشكلة. هذا إن كانت ما تزال مقتنعة بفكرة الزواج منه، فالغضب ظاهر في عينيها. وقال لها وهو يشير بأصابعه بحركات بطيئة: «إنني أعتذر. لقد كان يوماً عصيباً

لم أكن أعرف أن جميع الناس مهتمون لهذه الدرجة بحياتي الشخصية.»

رأت سيلينا ملامح التعب على وجهه بعد أن زال غضبه. فشعرت بعطف قوي عليه وقالت في نفسها إنه لا يستحق عطفها. ومع ذلك فهي تفهم سبب غضبه. فقد زاد عدد رواد المكتبة اليوم بشكل كبير. بعضهم لم يستخدم بطاقة المكتبة الخاصة به في حياته. وبطريقة ما تمكن كل منهم من ذكر اسم ريد بريسكوت في حديثه بعد التلميح بأنهم شاهدوهما معاً. وفي نهاية اليوم كانت مستعدة للوقوف والصراخ عالياً. فقالت له: «الجميع هنا يعرفون كل شيء عن كل شخص وأنا معتادة على ذلك. لكن الوضع يتفاقم أحياناً ليؤثر على الأعصاب بشكل مباشر.»

فقال: «شكراً لأنك قدرت وضعي.» ولم يكن يصدق أنها لم تطرده ثم ذكر نفسه بأنها تريد الطفل بقدر ما يريد استمرار عمله هنا.

بدا متعباً جداً فحاولت سيلينا التخفيف عنه، لكنه لا يرغب حقاً في البقاء هنا. ذكرت نفسها بذلك ورغم ذلك وجدت نفسها تقول له: «سأحضر طعاماً نتناوله في المنزل. لقد ظهرنا علانية بشكل كاف اليوم.»

لم يعترض ريد على كلامها فهو لا يستطيع الجلوس في غرفة مليئة بمن يحدق فيهما بتعجب وتساؤل فقال مقترحاً: «أكره أن أفرض نفسي. يمكننا إحضار شيء من المطعم.»

فقالت: «إنك لا تفرض نفسك.» وما لبثت أن اعتراها الذهول إزاء رغبتها في دعوته والاعتناء به. شعرت بعدم الارتياح من رغبتها هذه، ثم قالت له ممازحة: «كما أن

الناس سيعتقدون حتماً أنك تصرفت دون تفكير إن تزوجتني دون أن تتذوق طعامي.»

شعرت سيلينا برغبة شديدة في التخفيف عنه فهز ريد رأسه. «ماذا سيحدث إن لم يعجبني طعامك؟»

ردت عليه بخفة وهي تتجه نحو المطبخ: «ستكون مضطراً لتعلم فن الطبخ.»

«مشيتك رائعة وجذابة، سيدتي.» قال ذلك وهو يسير خلفها: «إن قوامك يجعل الرجل ينسى التفكير في طعامك.»

ارتعشت سيلينا وهي تشعر به يراقبها. نظرت من فوق كتفها فرأت نظراته نحوها وشعرت بدفء غريب. لمحت شفتيه تتحركان فسألته: «هل قلت شيئاً؟»

«كنت أفكر بصوت مرتفع.»

شعرت برغبة قوية في سؤاله عما يفكر به. لكن خجلها منعها من تكرار السؤال. لم تكن في حياتها ماهرة في المديح، ثم حذرت نفسها، قد يكون تفكيره مركزاً على امرأة أخرى تذكرها للتو. تنهدت بعمق، إن أفكاره من شأنه الخاص وهي غير مهتمة بمعرفة شيء عنه، ودخلت إلى المطبخ. لا يهمني بمن يفكر عندما يكون معي. إنما زواجي منه هو شيء لا بد منه لأحقق هدفي. لا أكثر ولا أقل. فكرت في ذلك وهي تفتح الثلاجة لتخرج قطع الدجاج المثلج.

لكنها اعترفت في ما بعد وهي تحضر الطعام، أن كلمة «شر» ليست وصفاً عادلاً لزواجهما.

دخل بعد قليل إلى المطبخ وأصر على مساعدتها، بعد

www.rewity.com

أن بدأت بتحضير العشاء. وقد نظر بدهشة حين رآها تحضر الدجاج المثلج.

وقالت ممازحة: «سوف أذيب الثلج عنها قبل أن أقدمها لك.»

هز رأسه بحركة لا إرادية وقال: «من الأفضل أن أترك الطبخ للطبّاخ.» وبدأ يحضر المائدة.

أحبت موافقته. لم تفكر بالدكتور بريسكوت من هذا المنظار من قبل. لقد أحبت عدم مناقشته لها. فهي تعرف كثيراً من الرجال الذي يدعون معرفة كل شيء، وهذا أمر يضغط على أعصابها. وحدثت نفسها بأنها بداية حسنة.

تحدث معها حول مواضيع عامة أثناء تناول الطعام، ومدح مهارتها في الطهو. وهي رغم كل جهودها التي بذلتها للاسترضاء، إلا أنها عادت لتذكر شعورها حين قبلها، وبدأت تفكر بليلة الزفاف. انتهيا من تناول الطعام في تلك اللحظة، وكان توترها قد وصل إلى الذروة. رفضت بإصرار عرضه المساعدة في تنظيف المائدة وغسل الأواني. وأصرت على أنه يبدو متعباً وطلبت منه التوجه إلى غرفة الجلوس وقراءة الصحيفة.

قالت لنفسها وهي تنتهي من رمي الفضلات وتبدأ في تنظيف الأطباق لوضعها في آلة غسل الأطباق: يجب أن أعتاد وجوده. ازداد تجهم وجهها. لم تكن ترغب بالاستمرار في الاختباء داخل مطبخها وما لبثت أن تركت بقية الأطباق، واتجهت إلى غرفة الجلوس.

وهناك وجدت ريد جالساً على الأريكة، ممسكاً بالصحيفة، لكنه كان يبدو نائماً. كان متعباً لدرجة أنها

خلعت له حذاءه ومددته بلطف. وأطاعها هو دون أن يستيقظ.

قالت لنفسها هذا حسن، إنها تستطيع أن تجلس قربه وهو نائم لتعتاد وجوده معها في المنزل.

مضت ساعتان تقريباً، وقد جلست في الكرسي المقابل له، وهي تحاول التركيز على الصحيفة. لكن نظرها كان يتحول نحوه لا شعورياً. وأخيراً وضعت الصحيفة جانباً وجلست تراقبه. والمدهش أنها شعرت أنه ينتمي إلى هذا المكان. في الواقع ذهلت من رغبتها في الانضمام إليه والتمدد قربه، لشعورها بالتعب هي أيضاً، خاصة وأن هواء ليل الصيف كان حاراً. ارتعشت من أفكارها وتذكرت من جديد قبلته، والحرج الذي شعرت به بعد أن تأججت مشاعرها نحوه.

كلا. إن كلمة «شر» لم تكن حتماً الوصف المناسب. لقد تعرفت إلى بعض الشبان، عندما كانت مراهقة. لكنها لم تشعر بشغف تجاه أي رجل منذ فترة طويلة. في الواقع كانت قد بدأت تقلق على نفسها خشية من الفتور العاطفي. لكن ريد بريسكوت خلصها من هذا الشعور. وعادت من جديد لتتخيل ليلة الزواج. ثم ظهر عليها خوف من نوع جديد. ماذا إن هو لم يرغب بها؟ ماذا إن هو اعتبر علاقتهما مجرد إجراء طبي؟ على أية حال، لن تهتم بأسلوبه، طالما أنها ستحصل على الطفل الذي تريده.

نظرت إلى الساعة فوجدتها قد اقتربت من العاشرة. وكمؤشر بوصلة ينجذب نحو مغناطيس الشمال وجدت نفسها تنظر إليه. قالت لنفسها، ليس وسيماً وهي تحاول

www.rewity.com

معرفة سبب انجذابها القوي نحوه. تداركت أفكارها، ووقفت بلطف واقتربت منه. لمست كتفيه برقة، فشعرت بتيار من الإثارة يسري في ذراعها.

استيقظ ريد مذهولاً. «آسف، يبدو أني استغرقت في النوم.» اعتذر منها وهو يتثاءب ويشير بيديه.

فأجابته وهي ترجع خطوة إلى الوراء، لتبعد المسافة بينهما: «كنت بحاجة لبعض الراحة.» وعلى الرغم من سرورها لأنها أدركت أن عاطفتها لم تفتر، إلا أن الانجذاب القوي الذي تشعر به نحوه كان يوتر أعصابها.

نظر إلى الساعة. وبدا الإحراج على وجهه. «أنا آسف حقاً. لقد نمت فترة طويلة.»

ابتسمت سيلينا. «هذه الأمسية تشبه كثيراً الأمسيات التي يقضيها الأزواج في منازلهم.» ثم أضافت: «ولكن من الأفضل أن ترحل الآن.»

وافق ريد ووقف بسرعة مشيراً لها: «شكراً على الطعام.» واتجه نحو باب المدخل وهو يمسك يدها ويشدها إليه. قال في نفسه: إن قبلة المساء ضرورية بالنسبة للجيران. ثم ضحك في نفسه. لقد أراد فعلاً أن يقبلها.

أخذها بين ذراعيه على الشرفة، فشعر برغبة عارمة في عدم تركها أبداً. فوجيء هو بشدة انجذابه نحوها، وأجبر نفسه على الابتعاد عنها والرحيل.

والأمر الذي استغربه أكثر هو مدى شعوره بالراحة قربها. وتذكر فجأة حياته وشبابه. لقد عاش في عدة بيوت كبيرة وجميلة، لكنه لم يعرف بيتاً مريحاً كبيتها. ظهرت على فمه ابتسامة غريبة. «لم أسكن في أي منزل من قبل

دون أن أبذل جهدي لأثبت للموجودين أني أستحق مكاني بينهم.» لقد توقع أن يشعر بذلك في منزلها لكنه كان مرتاحاً جداً. «لأني أعرف ما تريده مني وأعرف أننا سنستفيد معاً من هذا الترتيب.» تنهد بارتياح. سوف ينجح هذا الزواج، ولن يكون مضطراً للقلق من التعقدات التي يولدها الحب في العلاقات الزوجية.

راقبته سيلينا وهو يبتعد ثم عادت إلى المطبخ لتنهي عملها لكن صورته نائماً ملأت خيالها حتى وهي منهمكة بالتنظيف. تركت آلة تنظيف الأطباق تنهي المهمة وعادت إلى غرفة الجلوس لتجلس في الكرسي الذي جلست فيه من قبل.

جلست تحدق في الأريكة الشاغرة، وتساءلت في نفسها هل كانت ستتجرأ على الانضمام إليه، إن كانا متزوجين أو أنها ترغب بذلك. أضافت في نفسها والقلق من ليلة الزفاف عاد يشغل بالها.

مررت يدها على شفتيها، وتذكرت قبلاته فارتعشت. إن كان الزواج منه بنصف متعة قبلاته، فستكون راضية.

www.rewity.com ريوايتي

الفصل السادس

اليوم سأجد إجابات عن أسئلتي، فكرت سيلينا وهي تشعر ببعض الخوف. فقد مضى أسبوعان تقريباً على الليلة التي غفا فيها ريد عندها. أعلنا خطبتهما بعد ذلك بعدة أيام وحددا يوم الزفاف نهار الأربعاء التالي.

جاء عمال شركة الكهرباء صباح يوم الاثنين، وقد كانت تملك هاتفاً واحداً في غرفة الجلوس، وهو مصمم بشكل خاص لها. وهناك أجهزة مماثلة عند جديها وعمتها اديل. كان الجهاز يبدو مثل آلة طابعة صغيرة. لها لوحة مفاتيح وشاشة تتسع لسطر واحد تطبع الرسالة وتسمح لها بالاتصال بعائلتها هاتفياً. وقد أراد ريد أن يضع جهازاً آخر في غرفة النوم حتى يتمكن من استقبال المكالمات الهاتفية ليلاً. وقد وضع هاتفاً آخر في المطبخ.

قام بنقل أمتعته يوم أمس إلى منزل سيلينا. استيقظت هذا الصباح ووقفت تنظر إلى ثيابه المعلقة في خزانتها. ارتجفت قليلاً وهي تفكر بما هو مرتقب.

وصلت جدتاها وعمتها في ذلك الوقت لمساعدتها على ارتداء ثوب الزفاف، كانت تقاوم لتحتفظ بهدوء أعصابها. وأخيراً، ارتدت ملابسها. وتجمعوا كلهم استعداداً للتوجه إلى الكنيسة.

نظرت اديل إليها بعين فاحصة وقالت: «نريد أن يتم كل

شيء كما خططنا له.» ثم أضافت: «لا نريد أن ننسى شيئاً هاماً.»

قالت ادنا وارلي وهي تنظر إلى سيلينا وكأنها تبحث عن شيء: «أعتقد أننا جهزنا كل شيء. فستان زفاف والدتك شيء قديم. حفرنا على خاتمك اسمك واسم ريد وهو شيء جديد. قرط اللؤلؤ الذي أعارته لك اديل هو شيء مستعار. والشريط الأزرق على باقة الورد هو الشيء الأزرق.»

وصرخت غايل تابر: «قطعة النقد. نسينا قرش الحظ في حذائها!»

فقالت اديل وهي تبحث في محفظتها: «أنا متأكدة من أني أملك قطعة. تذكرت سيلينا القرش الذي وجدته في حديقتها في اليوم الذي زارها فيه ريد لأول مرة كان على حافة نافذة المطبخ. لقد حدثت أشياء كثيرة منذ اليوم الذي وجدته فيه لدرجة أنها نسيت أن القرش المتسخ في جيبها. ثم عادت واكتشفته يوم السبت التالي في قعر غسالة الثياب. أخرجته منها ووضعته في جيبها مرة أخرى. لكنها تذكرته هذه المرة وهي تعد طعام الغداء. فخافت أن تنساه مرة ثانية، لذا أخرجته من جيبها ووضعته على حافة نافذة المطبخ. كان يلمع تحت أشعة الشمس فتمتمت، إنه كنزي الدفين. وتركته مكانه.

«إن معي قرشاً.» واتجهت إلى المطبخ قبل أن يتمكن أحد من الإجابة. وهمست هي للقرش النحاسي: «لقد كنت معي حين قابلت ريد بريسكوت لأول مرة. سيبقى معي فترة من الزمن وأنت ستحضر معي الآن. أعرف أن التقاليد تقول إنك تجلب الحظ السعيد للزواج وتجعله يزدهر وتجعل العروس

www.rewity.com

مرتاحة لدرجة أنها تنسى طلب الرفاهية المادية. في زواجي هذا، لست مهتمة بالمال أريدك أن تسعدني فأنجب طفلاً.» وضعت القرش في حذائها. ولم تشأ أن تكون أنانية، فأضافت بسرعة: «وبالنسبة لريد أريدك أن تسعده بالحصول على عقد عمل دائم. بهذا يسعد كلانا، كل على طريقته الخاصة.»

تنهدت سيلينا بارتياح فقد اقترب المساء وانتهى الحفل. وأكمل المصور مجموعة الصور، حيث اتجهت هي وريد وبقية المعارف للانضمام إلى الضيوف في حفل الاستقبال، الذي يقام في القاعة التابعة للكنيسة، وحيث تقوم العاملات هناك بتحضير الطعام. كل شيء، ما عدا سرعتهما في الاتفاق على الزواج، سار كما خططا له وحسب التقاليد المتبعة في البلدة الصغيرة. فكرت سيلينا طبعاً ما عدا سبب زواجنا الذي لا يعرفه أحد سوى الطبيب.

قالت شيري كومانسكي والدة ريد: «أرجو ألا يضايقكم بكائي الآن وقد انتهينا من التقاط الصور.» وبدأت فعلاً بالبكاء وهي تضيف: «كل شيء رائع فعلاً.»

اضطرت سيلينا للابتسام. فقد أخبرها ريد أن لوالدته ميولاً درامية. وقد كان وصفه دقيقاً حقاً كما رأت بنفسها.

كانت والدة ريد جميلة، طويلة القامة دقيقة الملامح. وقد صففت شعرها الأشقر القصير بشكل أنيق جداً وقلمت أظافرها وتبرجت على يد أخصائي على ما يبدو. كانت ترتدي حين وصولها البارحة ملابس سوداء. فبنطلونها الأسود الضيق بدا وكأنه قد صمم خصيصاً لجسدها وقد

ارتدت فوقه قميصاً أسود إلى حذاء أسود عالي الكعب. وكانت بقية ثيابها مثيرة بنفس القدر. اضطرت سيلينا للاعتراف بأن شيري كومانسكي التي تبلغ الثانية والخمسين كانت تبدو وكأنها في الثلاثين، وتتصرف كشابة في السادسة عشرة من عمرها وبالتحديد كفتاة مراهقة.

فكرت سيلينا بسرعة في ليلة الأمس. اتصلوا بريد من أجل حالة طارئة فلم يتمكن من لقاء والدته فور وصولها إلى الكنيسة أثناء وضع ترتيبات الحفل ولكن اديل كانت موجودة. في البداية اقتربت شيري من سيلينا وقالت لها بلفظ عالٍ وكلمات واضحة كيف أنها وزوجها بيل كادا أن يفوتا عليها الاستعداد للزفاف. «في الواقع كدنا نبتعد عن سميثشاير، بيل.» ثم سكتت لتشير إلى زوجها القصير الذي يبلغ الخامسة والخمسين من عمره بلمسة خفيفة على كتفه: «كدنا نجتاز الحدود إلى فيرمونت وندخل إلى كندا قبل أن يستمع إلى نصيحتي ويتحول إلى الاتجاه الصحيح.» ثم لاحظت أن اديل تقف قربها وتوضح الكلمات بالإشارة إلى سيلينا فاستدارت ووضعت ذراعها على كتف اديل وقالت: «لقد عينتك مترجمة لي.» ثم وضعت ذراعها الأخرى على كتف سيلينا وأضافت: «يجب ألا نفترق أبداً. أريد أن أتعرف إليك جيداً لأنك ستصبحين زوجة ابني.»

وقد كانت صادقة في كلامها، فقد نفذت ما قالته وبقيت قرب سيلينا طوال وقت الاستعداد وأثناء الحفل. إلا أنها كرست أحاديثهما حول مواضيع زيجاتها المتعددة. قالت

www.rewity.com ريوتي

بتعبير مبالغ فيه بعد أن انتهت من إخبارهم قصة لقائها مع بيل وزواجها منه: «إنني امرأة متقلبة العواطف. يبدو أني غير قادرة على السيطرة على عواطفي. فهي تنفجر تلقائيا وتأخذني حيث تشاء.»

لمحت سيلينا نظرات السخرية في عيني عمتها اديل بينما كان بيل يجلس فخوراً بنفسه وهو يسمع وصفها له بأنه ساحر ويملك القدرة على إيقاع النساء بنظرة واحدة من عينيه.

لم تتمكن سيلينا من السيطرة على فضولها، حيث حاولت عدة مرات توجيه الحديث لتعرف شيئاً عن ريد. لقد خاب أملها كثيراً حين اتصل والد ريد منذ أيام ليقول إنه لن يتمكن من حضور زفافهما. وريد لم يتحدث أبداً عن ماضيه، وحين سألتها جدتاها وعمتها اديل عنه بعد إعلان موعد زواجهما أدركت أنها لا تعرف سوى القليل عن زوج المستقبل. لم يكن من عادتها التجسس على حياة الآخرين. لكنها، أدركت أن الحالة تختلف هنا. فمن الطبيعي جداً أن تعرف المرأة بعض المعلومات عن طفولة زوجها. لكنها لم تفلح في معرفة شيء من شيري أكثر مما قاله ريد بنفسه. وفي كل مرة كانت تحاول سيلينا توجيه الحديث عن ريد كانت تقول والدته إنه كان طفلاً هادئاً ومطيعاً ثم تعود لتتحدث عن مغامراتها التي تبين مدى اختلافها مع ولدها.

حاول ريد مقاطعة والدته أكثر من مرة، ليخلص سيلينا من ثرثرتها، لكن شيري كانت مصرة على متابعة حديثها. وأخيراً، عندما أشارت له سيلينا أنها لا تمانع في الاستماع إليها، عزف عن محاولاته.

في صباح يوم الزفاف، جلست سيلينا مع جدتيها وعمتها اديل في المطبخ ليشربن القهوة قبل البدء بالاستعداد للاحتفال. فلمحت اديل أن شيري تحاول أن تكون محط اهتمام الجميع في حفل الزفاف.

وقالت ادنا وارلي وهي تهز رأسها: «إن سمعت قصة واحدة أخرى عن مغامراتها، سأرمي بها إلى الخارج.»

أضافت غايل تابر: «أقسم بأن هذه المرأة لا تفرق بين الحب والرغبة.»

لم تقل سيلينا شيئاً، ولكنها الآن أصبحت تفهم سبب كره ريد للزواج.

وقد كانت اديل محقة في ما قالته عن محاولة شيري تركيز الاهتمام حولها. فلم تبك المرأة سوى أثناء حفل الزفاف. وقد اعتذرت في حفل الاستقبال من كل ضيف على انفراد، موضحة لهم أن البكاء أفسد عليها زينة وجهها، وذلك بسبب انفعالها وشدة إعجابها بالحفل. ثم أضافت أن سيلينا تذكرها كثيراً بنفسها أثناء زفافها الأخير، بعد أن أسرت للجميع بغرامها بزوجها الحالي بيل. وأخيراً قامت بتأجيل التصوير مدة عشرين دقيقة حتى تعيد تجميل وجهها.

والآن وقد انتهى التصوير وانتقل الجميع إلى القاعة الملحقة بالكنيسة. كانت شيري تسير إلى يمين سيلينا وقربها اديل توضح لها بالإشارة. وفجأة تجهمت اديل وأشارت: «إنها تتحدث عن عاطفتها الجياشة من جديد. أقسم أني مستعدة لرشها بماء الري في الحديقة.»

نظرت سيلينا بذهول إلى عمتها وابتسمت لها، حين

www.rewity.com ريما

لاحظت احمرار وجهها فجأة. نظرت إلى ريد لتدرك أنه رأى الإشارات التي قامت بها اديل.

وعادت اديل بسرعة لتشير لها بما تقوله شيري بالضبط إلا أن سيلينا لم تكن تفهم شيئاً من حديثها. فقد انشغلت بالتفكير في ريد، فقد كانت تراه مذهولاً أحياناً ومسروراً بشكل غريب أحياناً أخرى. لكنها علمت أنه يخفي إحراجه من والدته، خلف هذا المظهر الوقور. وفكرت في أنه بحاجة لوجود صديق قربه. فوضعت يدها في يده. وضغطت عليها بخفة.

شعر ريد بضغط يد سيلينا على يده. كانت شيري تتحدث باستمرار منذ وصولها إلى سميثشاير، واعتقد أن معظم نساء المدينة، يرغبن في رشها بالماء وطردها من حفل الزفاف. لكن سيلينا كانت تقدم له المساعدة. ولكن لابد أنها ترغب كثيراً في إنجاب طفل . لكنه أظهر امتنانه لها بابتسامة رقيقة.

تسارع نبض سيلينا حين رأت ابتسامته. ونسيت وجود الجميع وفكرت في ريد من جديد وبشوقها وانتظارها لما سيحدث. ثم دخلوا إلى قاعة الاحتفال واندست هي بين أقاربها وأصدقائها. وخلال ساعات تناولت الطعام وتحدثت مع صديقاتها ثم قطعت قالب الحلوى.

أخيراً لمست اديل كتفها وأشارت لها: «حان الوقت لترمي باقة الزهور ولير مي ريد رباط ساقك، يجب أن تغادرا الآن.»

تصلب جسد سيلينا، فقد كانت تظن أنها ستبقى مدة أطول. ثم لمحت نظرة شيري وجدتيها. بدت العجوزان

وكأن صبرهما سينفد بين لحظة وأخرى. ردت سيلينا بإيماءة من رأسها، وراقبت اديل وهي تطرق على الزجاجة لتعلن للجميع انتهاء الاحتفال.

شعرت سيلينا بالجمود وهي ترمي باقة الزهور. ولكن عندما لمس ريد ساقها ليأخذ الشريط الأزرق، أحست بدفء أصابعه وشعرت بها تشعل في جسدها ناراً. ثم حدثت نفسها: كل شيء سيسير على ما يرام، ما لم أقفز بجزع من السرير أو أصرخ بجنون حين يقترب مني .

وكررت نفس الكلام لذاتها وهي تعود مع ريد إلى المنزل. كانت الآن متوترة العضلات. لقد اعتادت على العيش في عالم من الصمت لكن السكون بينها وبين ريد في تلك اللحظة كان أقوى من أي صمت خبرته في حياتها.

«أعتقد أن حفل الزفاف كان جيداً.» قالت وهي تحاول إثارة حديث بسيط.

فأومأ برأسه: «أجل.»

تجهمت سيلينا لقد أراد التركيز على الطريق والقيادة. لذا اختصر جوابه بكلمة «أجل» أو «كلا» يا له من حديث يخفف عنها توترها.

على الأقل، لن تطول الرحلة. ها هو ذا يدخل المرآب التابع لمنزلها وترجلت من السيارة وهي حريصة على عدم إفساد ثوب زفاف والدتها، وقبل أن يتمكن ريد من مساعدتها على النزول توجهت نحو المدخل الخلفي. ولكنها شعرت فجأة بيد تمسكها من ذراعها وتمنعها من دخول المنزل.

www.rewity.com

«ليس بهذه السرعة.» قال ريد وهو يترك ذراعها ليشير لها قائلاً: «قد لا تكون أسباب زواجنا تقليدية لكننا نعيش في مدينة تقليدية وبين جيران تقليديين.»

وجدت سيلينا نفسها بعد ذلك بين ذراعيه يحملها إلى الشرفة الأمامية. غرقت في شذا عطره. وعلى الرغم من طبقات الثياب التي تفصلهما فقد شعرت بحرارة جسده تنتقل إليها. فزادت ضربات قلبها.

عندما وصلا إلى باب المدخل، تركها تقف حتى يتمكن من فتح الباب. ثم حملها مرة أخرى فتخطى العتبة ودخل إلى المنزل.

شعرت سيلينا برهبة مفاجئة وهي تنتظره ليتجه بها إلى غرفة النوم ولكن، بدلاً من ذلك، وجدت نفسها تقف على قدميها قربه.

تنهد ريد بعمق ورجع خطوة إلى الخلف. لقد أراد أن يحملها إلى غرفة النوم، لكنه وعد نفسه والطبيب وجديها، بأن يتعامل معها بصبر وهدوء. وقال بهدوء: «بدأت أفهم سبب ذهاب الناس في رحلات أثناء شهر العسل.» كان يشعر بحاجة ماسة للحديث حتى يبعد عن ذهنه الرغبة في تجريدها من ملابسها في الصالة. «لقد كنت قلقاً جداً في الأسبوع الأخير. كان يجب أن أطلب إجازة. آسف لأنني لم آخذك في رحلة لبضعة أيام.» اختلطت ملامح الغضب والاعتذار على وجهه وهو يتابع: «وأعتذر أيضاً عن تصرفات والدتي. أتمنى لو لم أدعها للحضور. لكنها وعدتني بأن تتذكر أن الزفاف لك وليس لها.»

شعرت سيلينا بالهجر حين تركها واقفة، لكنها شعرت، بعد أن زال تعبه، برغبة شديدة في مساندته. فقالت له بصدق: «لا بأس. إنها والدتك ومن المفروض أن تحضر حفلة زفافنا. أشعر بالأسف لأن والدك لم يتمكن من الحضور.» لقد كانت تذكر نفسها مئة مرة في اليوم الواحد بأن زواجها مجرد عقد عمل. لكنها الآن، وبعد أن رأت والدة ريد، لن تتمكن من إخفاء فضولها حول حياة والده.

تحدث ريد بنبرة مختلفة: «من الصعب احتجازه في مكان واحد. طالما أحب الأعمال التي تتطلب السفر. أعتقد أنه أحد أسباب عدم استقراره في أي زواج يقدم عليه. من الواضح أنه عادة يميل إلى نسيان أسرته.»

تخيلت سيلينا صبياً أشقر الشعر يجلس وحيداً على درج منزل خال ثم قالت: «لا بد أنك عشت طفولة وحيدة.»

تجمدت ملامحه فجأة فهو لم يطلب عطفها ولن يطلبه أبداً. وقال يصحح كلامها: «عشت طفولة مستقلة. لقد تعلمت من طفولتي الاعتماد على نفسي، وليس على أي شخص آخر.»

رأت سيلينا كبرياء باردة في نظراته وأشارت: «وتعلمت ألا تدع أحداً يقترب من قلبك.»

فأجابها: «إنها طريقة مريحة جداً كي يمارس الإنسان حياته الشخصية.» وقد بدا مرتاحاً جداً للطريق الذي اختاره. «حياتي المهنية مليئة بالمتاعب. لذا أنا لا أهتم وبكامل رغبتي بما تسميه والدتي متعة الحياة العاطفية.» رددت جملته: «متعة الحياة العاطفية.» بطريقة ساخرة. وقد رأت سيلينا انقباض عضلات وجهه فلم يبق لديها مجال للشك

www.rewity.com ريتي

بأنه لن يسمح لأحد أبداً بالاقتراب من قلبه فعلقت: «رجل عنيد وغير عاطفي أبداً.»

تمنى ريد أن تكون عاطفته تجاهها أقل مما هي عليه، ذلك أنه كان يفكر بها بجنون منذ مغادرة الكنيسة. وقد شعر أن حدة تفكيره خفت منذ دقائق. ولكن حين نظر إليها عن قرب تحول اهتمامه إلى صدرها الغض الذي تغطيه طبقة رقيقة من الدانتيل المخرم. فزادت رغبته في حملها من جديد والتوجه بها إلى غرفة النوم. لا يذكر أنه أراد امرأة في حياته كما يريدها الآن. فقال لها متعجباً من شدة لهفته إليها: «أنا طبيعي ولي رغباتي.»

نظرت سيلينا في عينيه الزرقاوين فشعرت بالنار تسري في عروقها وأجابته: «هذا من حسن حظي.»

فعلق ريد على جوابها وهو يفكر في طريقة يحمل بها نفسه على التصرف معها بهدوء وروية: «إن فيك لاغراء غير عادي.»

فأجابته: «وأنت تبدو وسيماً أيضاً.» ثم أردفت بعصبية: «طبعاً أنا لم أرك من قبل دون ثياب.» احمرت وجنتاها وهي تدرك ما تفوهت به.

تأملها هو شاعراً بمدى رقتها وخجلها، ليشير إليها قائلاً: «هل أعتبرها دعوة منك؟»

كانت تراقب يديه ولم تستطع منع نفسها من التفكير في لمساتهما على جسدها. كانت متشوقة لتعرف إن كانت يداه بحرارة شفتيه، وفي نفس الوقت مضطربة وقلقة من اللحظات التي تمر فيها فأجابته: «أعتقد ذلك.» محاولة أن تبدو مغرية... فهي على كل حال قد تزوجته من أجل إنجاب طفل.

أراد ريد أن يصدقها. لكنه اعتاد دراسة طباع مرضاه ليعرف متى يكون المريض صادقاً في كلامه. وقد رأى التردد في عينيها. ربما أكون متوتراً بشكل لا أود الاعتراف به. فكر بذلك وهو يذكر نفسه بأنه وعدها بمساعدتها للوصول إلى هدفها وهو إنجاب طفل. لكنه وجد نفسه يريد التمتع بوعده. فقال لنفسه: كبريائي أكبر بكثير مما ظننت. وفجأة خطرت له فكرة فاقترح عليها: «ما رأيك بلعبة بوكر؟»

نظرت سيلينا بذهول. إنه يريد أن يلعب بالورق؟

ربما لم تكن فكرة صائبة. فكر بذلك وهو يشاهد ملامح وجهها المذهول.

لكن بعد أن اختفت دهشتها، فكرت سيلينا أن خلع ملابسهما بشرط النجاح في البوكر سيجعل الجو ألطف فقالت له: «تبدو لي فكرة ممتعة.»

تخيلها فجأة وهي تجلس قربه بملابسها الداخلية المصنوعة من الدانتيل. قد تكون اللعبة مسلية فعلاً، لكنها حتماً ستقضي على صبره، فكر في ذلك بينما هي تتجه إلى غرفة الجلوس لتحضر ورق اللعب.

قالت وهي تقترب منه: «أعتقد أن غرفة النوم هي أفضل مكان لهذه اللعبة.»

هز ريد رأسه وأشار وهو ينحني ويشير باتجاه الدرج: «إنني أتبعك.»

سبقته إلى الطابق العلوي، وقد شعرت بضعف في ساقيها. فأمرت نفسها باسترخي. دخلت غرفة النوم فجلست على حافة سريرها ووضعت ساقاً فوق أخرى وقد التف حولها رداء الزفاف الأبيض.

www.rewity.com ريم

أخذت الورق بعد جلوس ريد وأخرجته من الصندوق ثم سألته: «هل تناسبك لعبة المستورة؟»

أومأ لها برأسه وبدأت هي بقطع الورق.

ربح الجولة الأولى فخلعت خمارها.

وربحت هي الجولة الثانية فخلع سترته.

ثم حذاءه.

قالت له: «هذا ممتع.» بعد أن خسرت الجولة التالية وبدأت برفع الدبابيس من شعرها.

«هيا يجب أن تزيلي جميع الدبابيس.» واقترب منها ساعدها في تحرير شعرها من التجاعيد الجميلة التي صممتها غابريال روتلاند خلال ساعتين من العمل المتواصل هذا الصباح. وحين رأى شعرها ينساب حول وجهها وكتفيها اقترب منها وقبلها بلطف. ثم أجبر نفسه على الابتعاد عنها وأخذ الورق من جديد.

اعترف في نفسه: هذا أصعب مما تصورت. فما زالت ترتدي كامل ملابسها. ما زال هو يعاني محاولاً الابتعاد عنها قدر الامكان.

شعرت سيلينا بحرارة شفتيه تتلاشى تدريجياً عن وجهها، وزاد انجذابها نحوه بعد أن قبلها وعطر ما بعد الحلاقة يفوح منه. انتابها فجأة شعور بنفاد الصبر وقد تضاعف شعورها هذا بعد أن خسر في الدورة التالية فنزع ربطة عنقه.

فاقترحت عليه: «لماذا لا نقطع الورق نصفين. الرقم الأعلى يربح.»

لاحظ ريد الرغبة تنعكس في عينيها فابتسم قائلاً: «إن

كنت تقصدين ربطة العنق، كل منا يخلع شيئاً في المرة القادمة.»

أومأت له سيلينا برأسها.

خسرت فدفعت حذاءها بعيداً. ورأت القرش الصغير يتدحرج تحت السرير.

حذرها ريد: «جاء دور الثوب.»

فكرت سيلينا أنه يشير لها بكلماته بطريقة فاسقة، فضحكت بخفة. ولكن، عندما خسرت، توترت أعصابها من جديد. وقفت قرب السرير وحاولت جاهدة أن تبدو غير مبالية وهي تفك الأزرار الصغيرة خلف عنقها. لكنها شعرت بتصلب في أصابعها.

«يبدو أنك بحاجة للمساعدة.» قال لها وهو يعرف أن الابتعاد عنها أفضل في هذه اللحظات. لكنها كانت متعثرة، وتخيل نفسه يجلس قربها بنفس الوضع حتى منتصف الليل وهي تحاول خلع فستان الزفاف.

أومأت له سيلينا.

وقف ريد وبدأ يساعدها. وما أن انتهى من ذلك قبلها بنعومة.

شعرت سيلينا بفرح غامر. استدارت نحوه وقالت: «خدمة كهذه تستحق مكافأة. حين تخسر في المرة القادمة سأفك لك قميصك.»

فكر ريد. ألا تعرف كم هي خطرة بالنسبة لقدرة الرجل على التحمل؟ وهو يراقبها تبعد فستان الزفاف جانباً. ازداد إعجابه بها وهذا ليس في صالحها، اعترف بذلك، وأجبر نفسه على العودة إلى مكانه على السرير.

انتبهت سيلينا لنظرته نحوها حين حملت الفستان

www.rewity.com ريما

وعلقته في الخزانة. كانت تشعر بدفء نظرته وتمنت لو أنه قبلها مرة أخرى.

عادت إلى السرير. قطعت الورق. لقد خسر هذه المرة. انحنت نحوه، وبدأت تفك أزرار قميصه. اقتربت منه أكثر بعد أن شعرت بحرارة جسده تداعب أناملها. وحين فكت آخر زر أبعد القميص عنه، بدا قوياً لا يعرف الاستسلام. لم تتمكن من مقاومته فمررت يديها على كتفيه. شعرت بعضلاته تتقلص تحت راحة يدها وكأنه يشعرها بقوته، وازداد اللهب الذي يشتعل داخلها قوة.

قال ريد وما زالت يداها على صدره: «أنت تضعفين قدرتي على التصرف ببطء.»

زاد شعور سيلينا برجولته وهي تمرر يديها على صدره، حين لمحت فجأة شفتيه تتحركان، فتوقفت ونظرت إليه بتساؤل. «ماذا قلت؟»

«قلت.» كرر جملته هذه المرة وهو يشير لها: «أنت تختبرين صبري.»

رأت سيلينا رغبتها تنعكس في عينيه فقالت: «أعرف أن الصبر فضيلة، لكنه أحياناً يبدو عملاً غير منطقي.»

لاحظ ريد أن تصرفها هذه المرة لا ينطوي على أي تردد. فاقترب منها وقبل رقبتها حتى شعر بحرارة نبض وريدها بين شفتيه.

اعترف ريد، أن سيلينا وارلي تبدو أمتع بكثير مما كان يظن.

شعرت سيلينا بتوتر غريب وهي تراقبه. لكن شعورها زال حين رأت نظرته المتشوقة.

فقد ريد قدرته على التصرف بهدوء، فجذبها بين ذراعيه وقبلها. لم تشعر سيلينا من قبل بهذه الرغبة الجامحة في الاقتراب من شخص آخر. فمررت يديها على شعره وعانقته.

تمتم ريد بمتعة. وانهال عليها بالقبل.

ابتسمت سيلينا وهي ترى الشغف في نظرته. كان يجب أن تشعر بالاحراج أو بالخجل. لكنها لم تكن محرجة ولا خجلة. كانت تريده.

كان ريد يعرف مقدار تحمله، وأدرك أنه لن يصمد أكثر من ذلك. فقبل دعوتها الصامتة، واقترب منها دون تردد.

ما أن تمددا على السرير حتى شعرت سيلينا برعشة خوف. لكنها ما لبثت أن تبددت بعد أن أخذها بين ذراعيه ولم يبق في ذهنها سوى التفكير بإسعاده بقدر ما يسعدها.

تمتمت سيلينا بنعومة في صباح اليوم التالي وهي تجمع ملابسهما المبعثرة. كانت ليلة زفافها أمتع بكثير مما تصورت. لمحت شيئاً تحت سريرها يلمع من أشعة الشمس المتسللة من النافذة. وقالت بصوت خافت: «إنه درهم الحظ.» ربما يجب أن تتركه مكانه. فقد أرادته لجلب الحظ لحياتها في هذا الزواج. وماذا إن سحبته بالمكنسة الكهربائية وهي تنظف الغرفة. أخذته من مكانه بعد أن قررت وضعه تحت فراش السرير مباشرة.

www.rewity.com

الفصل السابع

جلست سيلينا على شرفة منزلها الأمامية تتمتع بهدوء ليل الصيف. كانت ليلة الجمعة وقد مر على زواجها ليلتان ورغم أنها لم تتمكن من الذهاب مع ريد في شهر عسل إلا أنهما قررا أخذ عطلة يوم الخميس. ظهرت على شفتيها ابتسامة كسول وهي تتذكر كم كان يومها بالأمس صاخباً. وليلة أمس وهذا الصباح، كانت متعة لا توصف. لقد اثبت لها ريد أنه عاشق متقد. إن مجرد التفكير به يزيد نيران رغبتها اشتعالاً.

شعرت بلمسة على كتفها فتذكرت أن عمتها اديل تجلس بجوارها. نظرت إليها فوجدت اديل تشير لها. «يبدو أن الزواج يناسبك تماماً.»

هزت سيلينا رأسها بابتسامة ناعمة. لقد وصلت عمتها لزيارتها فور انتهاء دوامها في المكتبة، وقد حضرت لتخبرها أن ريد سيتأخر. فقد سقط صبي من عائلة ميلر وهو يحتاج لعناية طبية خاصة.

«سيزود ريد مكتبه بجهاز هاتف خاص للصم. سيكون جاهزاً غداً أو بعد غد.» قالت ذلك إذ لاحظت أن عمتها اديل تنظر إليها بدهشة. «عندها سيتمكن من الاتصال بي هاتفياً ولن يزعجك بالحضور إلى هنا حين يتأخر عن موعده.»

أجابتها اديل وقد اتسعت ابتسامتها: «لا مانع لدي في نقل رسائله إليك. رؤيتك سعيدة أمر يسرني.»

لقد خافت سيلينا للوهلة الأولى، من شدة شعورها بالسعادة. لأنها لم تكن تضمن مدى استمرار هذه السعادة. قد يمل ريد وجودها. في الواقع هذا أمر معقول جداً. وحالما يحصل على عقد العمل وتحصل هي على الجنين، قد يشعر أنه لم يعد بحاجة لوجودها قربه. لقد قررت أن تقطع الطريق عليه.

أما الآن، فيجب أن تركز على الوقت الحاضر فأجابت عمتها: «أنا استمتع بوقتي.»

ضحكت اديل. «هذا واضح.»

تحول اهتمام اديل فجأة نحو الطريق. تتبعت سيلينا نظرة عمتها فرأت سيارة حمراء تقترب منهما. لم تعرف صاحب السيارة، فعادت لتنظر إلى وجه اديل التي هزت رأسها. من الواضح أنها أيضاً لم تعرف صاحب السيارة.

توقفت السيارة أمام منزل سيلينا. ونزلت سيدة تحمل هدية. كانت امرأة سمراء متوسطة الحجم، ترتدي قميصاً فضفاضاً، وسروالاً قطنياً صيفياً وصندلاً خفيفاً. وعندما عبرت البوابة واقتربت منهما، رأت سيلينا بعض الشيب يلمع بين خصلات شعرها البني وادركت على الفور أن المرأة أكبر مما ظنت لأول وهلة. ربما تكون في أواخر الأربعين من عمرها، فكرت بذلك والسيدة تقترب نحوهما أكثر.

لوحت المرأة بيدها ولمحت سيلينا شفتيها تتحركان بكلمة «مرحباً» ثم قالت: «أبحث عن ريد وسيلينا بريسكوت.» ونظرت المرأة إلى ورقة كانت تحملها في يدها. تحركت شفتاها، لكنها كانت تنظر بعيداً عن سيلينا فلم تفهم شيئاً مما قالته لها. نظرت إلى عمتها اديل.

www.rewity.com ريوتي

قالت لها اديل: «وصلت إلى العنوان.»

وقفت سيلينا وقالت: «أنا سيلينا.»

ابتسمت المرأة وهي تصعد الدرجات القليلة التي تفصلها عن الشرفة. لكنها كانت تنظر إلى سيلينا بحيرة. «أخبرني والد ريد أنك صماء.»

أجابتها سيلينا: «يمكنني قراءة الشفاه. ثم اشارت إلى اديل: «هذه عمتي اديل. إذا تحدثت بطريقة معتدلة، ستترجم كلماتك بالاشارات لأتأكد من أني أفهم كل ما تقولينه.»

ابتسمت المرأة لاديل وقالت: «اعتقدت أنهما في شهر عسل لذا كنت أفكر ترك الهدية عند أحد الجيران.»

أجابتها سيلينا بعد أن فهمت معظم ما قالته المرأة وقبل أن تبدأ عمتها بالاشارة: «لم نتمكن من ترتيب جدول عملنا لنأخذ إجازة.».

نظرت المرأة إلى سيلينا بتعجب، وقد اختلط في عينيها بريق الفضول مع اللطف.

قالت لها وهي تمد يدها نحوها: «اسمي جوانا لويس. كنت زوجة اريك بريسكوت الثانية، اقصد والد ريد، والجميع يدعونني جو. لقد سررت بالتعرف اليك.»

عاد الفضول يثير سيلينا وهي تصافح المرأة فهي تريد أن تعرف الكثير عن ماضي ريد. سوف تتعرضين للأذى إذا استمر اهتمامك بهذا الرجل ، حذرت نفسها للمرة المئة. وأمرت ذاتها من جديد بالتفكير به كوالد لطفلها. لكنني لن أهمل هذه الفرصة، للتعرف إلى ماضيه.

ولأنه سيصبح أباً لولدي، يجب أن أعرف شيئاً عن حياته الماضية، فإذا سألني طفلنا ذات يوم، يجب أن أعرف شيئاً

أخبره أو أخبرها عنه . وردت على المرأة: «وأنا أيضاً مسرورة بلقائك.»

«لم يكن أريك موهوباً فيما يتعلق بالعائلة. عندما وصلته رسالة ريد حول حفلة الزفاف، اتصل بي وطلب مني اختيار هدية لكما والتأكد من استلامكما لها.» قالت لسيلينا وهي تقدم العلبة لها: «لم يكن يعرف ما يريد تقديمه لكما، لذا استخدمت في ذلك ذوقي. إنها محمصة لصنع الكعك. أذكر أني كنت أصنع كعكاً لريد حين كان يأتي لزيارتنا، كان يأكل الكثير من هذا الكعك.»

وقالت سيلينا وهي تأخذ الهدية منها: «شكراً لك.» لأول مرة يخبرها أحد شيئاً عن نوع الطعام الذي كان ريد يحبه وهو طفل. وجدت نفسها فجأة تتخيل صورة صبي أشقر يجلس أمام مائدة المطبخ ويأكل طبقاً مليئاً بالكعك وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

«لقد طلب مني اريك ايضاً أن اعتذر منكما لأنه لم يتمكن من حضور حفلة زفافكما.» ثم تابعت جو: «كان مضطراً لحضور سباق سيارات ضخم في مكان لا أعرفه، لست متأكدة. لا أذكر المكان بالتحديد. إنه كثير السفر، وهو يعمل ميكانيكياً ضمن فريق عمل لإصلاح سيارات السباق الباهظة الثمن. قبل ذلك كان يعمل في التنقيب عن النفط في البحر في مكان ما. وحين تقابلنا لأول مرة وقررنا الزواج كان مرتبطاً مع مجموعة غواصين يبحثون عن كنز غارق مقابل سواحل فلوريدا. ولما لم يجدوه ذهب هو إلى آلاسكا للبحث عن الذهب. إنه كثير السفر لدرجة تجعلني أبحث عنه في كل مرة أريد رؤيته.»

www.rewity.com

تذكرت سيلينا أن ريد قال لها إن والده لم يكن يحضر إلى المنزل كثيراً. وكأنه لم يكن موجوداً بينهم فقالت لها: «هذا يشكل ضغطاً كبيراً على الزواج.»

أومأت لها جو ايجاباً وقالت: «طبعاً. لكني كنت أعرف أي نوع من الرجال هو قبل أن اتزوجه. وكنت اعتقد أني قادرة على تغييره. كان يجب أن استمع إلى نصيحة والدتي. كانت تقول دائماً إن محاولة تغيير الرجل كمن يحاول تغيير لون شعره. الجذور تبقى على لونها وتظهر دائماً من وقت لآخر.»

لاحظت سيلينا نظرة التأكيد في عيني اديل وهي تشير لها بآخر عبارة. في تلك اللحظة كانت جو تهز رأسها سخرية من تصرفها الغبي.

«على أية حال، ما أن تقبل الواقع وعرف أنه سيبقى دائماً فتى صغيراً لا يعرف الاستقرار، انفصلنا عن طيب خاطر، واستمر الاتصال بيننا.» وأكملت جو وهي تعتذر بصدق. «طلب مني أن أحضر الزفاف، لكني لا أحب شيري ابداً. لم أقابل في حياتي شخصاً يحب الظهور مثلها.»

فكرت سيلينا ان والدي ريد يحبان نفسيهما، ولكن كل بطريقته الخاصة. فقالت لها: «إنه لطف منك أن تحضري الهدية إلينا، أرجو أن لا تكوني قطعت مسافة كبيرة في سبيل ذلك.»

قالت جو: «لا، فأنا أعيش في ديلواير الآن. لكنني أخطط لزيارة أصدقائي في فيرمونت.» وأردفت بنعومة: «في الواقع أشعر بفضول لمعرفة أحوال ريد.»

فقالت اديل بحزم قبل أن تتمكن سيلينا من إجابتها: «أحواله ممتازة.»

ابتسمت جو. «أنا مسرورة لسماع ذلك. طالما شعرت بالذنب تجاهه. لقد انفصل والداه وهو في الخامسة من عمره. وحصلت والدته طبعاً على الوصاية. وعهدت به إلى جدته لتربيه. وعندما بلغ العاشرة توفيت جدته وكان لأمه ولد آخر تهتم به. فاتصلت باريك وقالت له إن الصبي بحاجة لوالدة. في النهاية توصلا إلى اتفاق، وهو أن يبقى عندها خلال فترة المدرسة وهي تسعة أشهر تقريباً، ويأخذه أريك كل صيف. عند ذلك قرر أريك الزواج مني. أعتقد أنه أراد منزلاً للصبي. وقد حاول البقاء معنا في نفس الوقت الذي يأتي فيه ريد لزيارتنا. ولكن، كما قلت لكما أريك لم يكن من النوع الذي يحب الاستقرار. على أية حال، حين بلغ ريد الخامسة عشرة من عمره، قررت الانفصال عن زوجي فور عودة الصبي إلى أمه. حاولت أن أسعد ريد أثناء الوقت الذي يقضيه معنا. كان والده غائباً معظم الوقت، لكنني كنت أخرج برفقة ريد دائماً. وأذكر أنه جاء إلى المطبخ قبل موعد عودته إلى أمه بعدة أيام. كان يبدو متوتراً وتساءلت عن سبب ذلك. عندها طلب مني البقاء معي.»

وظهر الحزن على وجه جو وهي تكمل: «قلت له إني أنوي ترك والده.» لقد أحببت الفتى. ولاحظت أيضاً أن شيري واريك لن يهتما مطلقاً اذا بقي معي. لكني لم استطع تحمل المسؤولية. كنت أستعد للتحرر من جديد. لم يقل ريد شيئاً، هز رأسه وعاد إلى غرفته. وغادر المنزل بعد عدة أيام ولم أره منذ ذلك الحين. لمعت عيناها فجأة. «لكن اريك قال لي إنه أصبح طبيباً.»

فقالت سيلينا: «طبيب ممتاز.» إنها تفهم أسباب المرأة

www.rewity.com

لعدم الاحتفاظ بالفتى. لكنها ترى كم أثر هذا الرفض على نظرة ريد إلى العلاقات الشخصية. ابتسمت جو: «إنه لامع منذ صغره.»

فكرت سيلينا في أنها عرفت في هذه اللحظات أشياء كثيرة عن ماضي ريد لم تعرفها منه في أيام أمضتها معه. وقد اعترفت، إنها تود معرفة المزيد فقالت لجو: «سيتأخر ريد في عمله هذا المساء. ولقد حضرت شرائح اللحم المشوي في الفرن، بكمية وافرة. «سأكون مسرورة إن استطعت البقاء لتناول العشاء معنا. سيكون لك فرصة للقاء ريد.» كانت تدرك أن هذه المرأة هي أقرب الناس لريد من جهة والده وهي تود أن تلتقي بها أكثر فأضافت: «وأهلاً بك إذا أحببت البقاء عندنا الليلة.»

فأجابت جو: «لقد حجزت غرفة في فندق واين رايت.» واردفت: «لكني سأبقى على العشاء بكل سرور.»

دخلت النساء الثلاث إلى المنزل لتناول شراب بارد، وأدركت سيلينا أنها قلقة بعض الشيء على رد فعل ريد حين يرى ضيفة العشاء. إنه متكتم جداً حول كل ما يخص حياته الشخصية وتساءلت إن كان سيعتبر دعوتها لجو نوعاً من التدخل في خصوصياته. لكن حتى وإن لم تكن مهتمة بمعرفة شيء عن ماضي ريد، فقد كانت مضطرة لدعوتها من باب اللياقة فقط. على أية حال كانت دعوتها ضرورية بعد أن قطعت مسافة طويلة لرؤيته.

استمرت اديل في الإشارة لسيلينا حتى لا تواجه متاعب في التحادث مع جو. وقد قامت اديل بتنفيذ ما تود سيلينا القيام به. فبدأت بطرح الأسئلة حول طفولة ريد.

فكرت سيلينا وهي تحاول دفع الشعور بالذنب الذي أحست به من جراء فضولها: «لست الوحيدة تحاول التجسس على ريد.»

تبلورت صورة ريد في ذهن سيلينا، بعد حديث جو عنه، فقد كان طفلاً يعتمد على نفسه منذ صغره. وقد تأكدت هذه الصورة بعد أن تحدثت جو عن رحلة تخييم قامت بها هي واريك وريد. قالت جو: «كان ريد في الحادية عشرة من عمره. لكني لم أعرف قط ولداً واثقاً من نفسه أكثر منه. استيقظنا في الصباح فوجدناه قد أشعل ناراً وصنع قهوة. وكان قد اصطاد سمكتين للافطار من النهر القريب بعد أن ذهبنا للنوم.»

ما أن أكملت جو جملتها حتى نظرت سيلينا إلى باب غرفة الجلوس لتجد ريد يقف هناك. لم تكن تعرف أنه موجود. لقد ذهلت بذلك. لأنها لم تسمعه يدخل المنزل. وكأنها شعرت بوجوده قربها.

«دائماً كنت أعرف أن الثقة بالنفس والاعتماد على الذات أمر مشجع جداً للانسان.» قال ذلك لتعلم اديل وجو أنه يقف خلفهما.

رأت سيلينا الفخر في عينيه وهو يشير بكلماته بحركات واثقة. لقد تعلم أكثر من مجرد الاعتماد على نفسه، فكرت بذلك، لقد تعلم البقاء وحده.

«والدك طلب مني الحضور إلى هنا واحضار هدية لك.» قالت جو وهي تقف.

لم تفهم سيلينا سوى كلمتين مما قالته المرأة قبل أن تدير لها ظهرها. وبسرعة نظرت إلى عمتها التي بدأت

www.liilas.com www.hewity.com ريما

تشير لها الحديث المتبادل بين ريد وجو. لاحظت أنهما يتكلمان بمودة. ولتأكيد ذلك كانت تنظر نحو ريد من وقت إلى آخر فوجدت تعابير وجهه مهذبة وكان يبتسم بين حين وآخر. تنهدت براحة وقد سرها أنه لم يكن غاضباً منها.

أصرت سيلينا على بقاء اديل للعشاء. لأن وجود عمتها قربها يتيح الفرصة لجو وريد بالتحدث دون أن يضطر ريد لقطع الحديث والترجمة لها. ولكن سيلينا شعرت بالذنب حين رأت أن اديل تحاول أن تأكل وتسعى الا تفوتها أية جملة مما يقولانه. لم يتسن لاديل الوقت الكافي لتناول الطعام. وأخيراً أشارت لها سيلينا بالتوقف عن الإشارة وإكمال طعامها. فردت عليها اديل باشارة سريعة بأنها تتبع نظاماً غذائياً وتابعت بنقل الحديث الدائر.

أدركت سيلينا أثناء تناول الطعام أنها أصبحت تعرف عن جو أكثر مما تعرفه عن ريد. فمعظم الحديث المتبادل بين جو وريد كان مركزاً على حياة جو الحالية أو حول حياة ريد كطالب ومن ثم كطبيب... وحين كانت جو تبدأ بالحديث عن طفولة ريد، كان هذا يحول الموضوع بلباقة وحزم.

عندما انتهوا من تناول العشاء وقفت اديل لتساعد سيلينا في تنظيف الأطباق، وذهب ريد وجو ليجلسا على الشرفة ويتحدثا في جو خاص أكدت سيلينا لنفسها أنها غير مهتمة بما يحدث. ففي النهاية، يبقى زواجها من ريد تحقيقاً لمصالح شخصية أكثر منه زواجاً عادياً. لكنها مع ذلك لم تكف عن التساؤل عما يقولانه في تلك اللحظة. أنت تفكرين

به كثيراً، ذكرت نفسها وعادت لتحاول التركيز على الأطباق الموجودة أمامها.

قالت جو وهي تقف من الكرسي الهزاز بعد أن انضمت إليهما اديل وسيلينا. «اكره أن أتناول الطعام وأرحل على الفور لكني متعبة جداً والطريق طويلة. وأريد أن أستيقظ لأبدأ رحلتي في الصباح الباكر. شكراً لهذا العشاء اللذيذ.»

لم يكن في حديث المرأة أو أسلوبها في التعبير ما يدل على أن سرعتها في الانصراف كانت بسبب حديثها مع ريد، لاحظت سيلينا أن ريد وقف ليشير لها بكلمات جو. وقد كانت تبدو متعبة فعلاً.

هزت جو رأسها وقد أصبحت نظرتها أقل ثقة واستدارت نحو ريد. «لا أصدق أني جئت إلى هنا لأتفقد أحوالك وانتهت الزيارة وأنا أتحدث عن نفسي طوال الوقت تقريباً.»

فور انتهاء اديل من الإشارة لسيلينا بكلام جو، التفتت سيلينا ونظرت إلى ريد. من الواضح أنه اعتاد تجنب الحديث عن نفسه. ثم شعرت بلمسة على كتفها حولت اهتمامها من جديد نحو اديل.

قالت عمتها: «يجب أن أذهب أيضاً.»

وقفت إلى جانب ريد على الشرفة تلوح مودعة السيدتين، وبدأت سيلينا بالتفكير بالرجل الذي تزوجته. لقد رفضت الاعتراف بمدى الاهتمام بمعرفة كل شيء عنه حتى بعد ظهر اليوم. واعتراها شعور بالندم لأنها لم تلتق والده. «من المؤسف أن والدك لم يحضر بنفسه.» واحمرت خجلاً بعد أن أدركت أنها قالت ما تفكر به بصوت مرتفع.

www.rewity.com ريم

نظر إليها وقال: «كنت ستحبينه حتماً.» كان تعبيره جامداً لا عاطفة فيه وكأنه يتحدث عن أحد معارفه فقط. «له طريقة ساحرة في التعامل مع النساء. لم أعرف رجلاً قط يبقى على مثل هذه العلاقة الوثيقة مع زوجاته السابقات. إنه من النوع المسلي أيضاً، فهو يجيد رواية القصص الجيدة.»

من الواضح أنه لم تكن ثمة مودة بين ريد ووالده. ومع أن تصرفه مع جو كان ودوداً إلا أن سيلينا لم تشعر بأنه كان قريباً منها هي أيضاً، على الأقل لكونها زوجة أبيه.

وتذكرت ما قالته جو عن طلب ريد البقاء معها ومع والده. ومع أن سيلينا شعرت بأنها تتجسس عليه إلا أنها لم تستطع منع نفسها من أن تقول: «إن جو تبدو امرأة لطيفة فعلاً.»

أجابها ريد: «أنا مدين لها لقد علمتني الا أحاول أبداً البحث عن الأمن في ظل الآخرين. كان درساً قيماً بالنسبة لي ومع مرور السنوات وجدت أن لجميع الناس شؤونهم الخاصة. وأي شخص منهم يسمح للآخرين بالدخول إلى حياته طالما يتناسب ذلك مع خططه أو احتياجاته.»

فتجهم وجهها لما سمعت: «أنت تعتبر جميع الناس باردي القلب وأنانيين لكن أؤكد لك أن الأشخاص يختلفون كثيراً الواحد عن الآخر.»

وابتسم بخفة وقال: «ربما تكونين على حق المهم أن تتمكني من معرفة أطباع كل شخص. أنا شخصياً لا أهتم بذلك إطلاقاً.»

راقبته وهو يستدير ليدخل إلى المنزل. من الواضح أنه

عازم على ألا يسمح لأي شخص أن ينال من عواطفه شيئاً.

شعرت بحاجة ملحة للحاق به وإقناعه بمنح نفسه فرصة واحدة للتعرف إلى الأشخاص القريبين منه وأن ذلك يستحق المجازفة بمبدئه. دخلت المنزل فوجدته ممدداً في غرفة الجلوس يقرأ المجلة الطبية التي وصلت عصر ذلك اليوم. كانت ملامح وجهه حازمة كالعادة. وقفت في الممر ووبخت نفسها: يجب أن أكون ذكية إلى درجة تكفي لأطبق نصيحة والدة جو بخصوص محاولة تغيير الرجل. خاصة حين يكون هذا الرجل هو ريد بريسكوت. فهي لم تشاهد في حياتها قط رجلاً يصر على العيش في إطاره الخاص مثله.

وحدثت نفسها: تذكري فقط الاتفاق الذي عقدته معه. ولا تسمحي لنفسك بالتفكير باستمرارية هذا الزواج أو تغيير واقعه. استدارت وصعدت إلى غرفتها.

جلس ريد يحدق في صفحات المجلة الطبية. لقد سمع سيلينا تدخل، وتقف قرب الباب، ثم تصعد إلى الطابق العلوي. لا بد أنها غير مسرورة بوجهة نظره حول العلاقات الانسانية، لكنه لم يكن يرغب بالمناقشة.

لم يكن مسروراً في البداية، حين وصل إلى المنزل، ووجد جو ضيفة على العشاء. صورتها أعادت إلى ذهنه ذكريات لا يحبها. ذكرى ذلك اليوم الذي طلب فيه أن يبقى معها. كانت آخر مرة يطلب فيها شيئاً من أحد. لقد أقسم ألا يضع نفسه في نفس الموقف مرة أخرى.

وقد شعر بعدم الراحة، حين وجد نفسه يعتاد على حياته مع سيلينا وقربه منها. واليوم، بينما كان في مكتبه، وجد

www.rewity.com ريما

نفسه يفكر بابتسامتها وبجلساتهما الهادئة على الشرفة الأمامية للمنزل. زيارة جو اليوم ذكرته بخطورة الاعتماد على وجود أحد في حياته. تنهد بعمق، لكنه كان مسروراً بزيارتها.

الفصل الثامن

جلست سيلينا تحدق في فنجان القهوة. لقد مر على زواجها من ريد أسبوعان ونصف. ما زال الوقت مبكراً، وزوجها ما زال نائماً. ريد لا يحظى بنوم كاف إلا أيام السبت حيث يتمتع بالبقاء في السرير إلى حوالى الساعة العاشرة. وهي تستيقظ باكراً كما اعتادت. لكن حين استيقظت هذا الصباح لم تنهض من الفراش بسرعة. فقد استلقت قربه وراقبته وهو نائم.

أرادت الاقتراب منه والتغلغل بين ذراعيه. لكن هذا الوقت من الشهر ليس مناسباً للاتصال الجسدي. والسبب الوحيد لهذا هو الحصول على طفل من ريد، ذكرت نفسها. لكنها ببساطة كانت تعرف أن التمتع بالبقاء قربه قد يؤدي بها إلى خيبة أمل في المستقبل. استمعت إلى صوت العقل ونهضت من السرير ارتدت ملابسها ونزلت إلى الطابق السفلي.

تحول اهتمامها إلى خاتم الزواج. كانت تعرف أنه من المهم جداً بالنسبة لها البقاء بعيدة عاطفياً عن هذا الرجل.

استدارت فجأة بعد أن شعرت بلمسة على كتفها. كان ريد يقف خلفها، حافي القدمين عاري الصدر يرتدي سروال الجينز فقط. كان شعره مشعثاً وذقنه غير حليقة وتذكرت روعة ملمس ذقنه على وجهها فتدفق الدم إلى وجهها.

وسألها وهو يرمقها بنظرة الطبيب الذي يخاطب أية مريضة عنده: «هل أنت مريضة؟»

www.rewity.com ريما

فأجابت بلهجة طبيعية: «لست معتادة على البقاء في السرير.»

هز ريد رأسه موافقاً، مع أنه شعر ببعض الانزعاج حين استيقظ ولم يجدها قربه. لكنه وافقها على تصرفها العملي. والآن بما أنه تأكد أنها بخير، فكر بالعودة إلى السرير. لكن الأمر لم يرق له فقال باسترخاء غريب: «بما أننا لا نستطيع العمل على ما يخصك من الاتفاق، ما رأيك لو عملنا على ما يخصني؟» واقترح عليها: «يمكننا ارتداء ملابسنا، وتناول الافطار ثم الذهاب في نزهة صباحية في شوارع البلدة.»

فقالت ممازحة: «حتى تبدو كرجل متزوج في غاية السعادة؟» ولكنها شعرت بالأسف لما قالت، إذ كانت تعلم أن كلامها غير صحيح. وبخت نفسها. ريد بريسكوت يملك آراء خاصة حول العلاقات. إنها تسمح للسعادة التي تشعر بها معه بالتأثير عليها كثيراً.

بعد ذلك بقليل، انطلقا في شوارع البلدة المحاطة بالأشجار وكان تصرف ريد يثيرها. شاهدا جيرالد والكر. وهو مريض مسن عند ريد، يعمل في حديقة منزله فلوح له ريد. حينها فقدت سيلينا صبرها وقالت: «إن كنت حقاً تعتبر الناس، بشكل عام، أنانيين لا يهمهم سوى أنفسهم، لما كنت قادراً على الاهتمام بمرضاك. لماذا اخترت أن تكون طبيباً؟ لا يمكن أن يكون المال هدفك. يقول الطبيب العجوز إنك موهوب جداً. يقول إنك تنجح في أي مكان تعمل فيه. يمكنك أن تفتح عيادة في مدينة كبيرة وتكسب منها مالاً كثيراً. هنا ستعيش حياة حسنة لكنك لن تصبح ثرياً أبداً.»

ابتسم بخبث وقال: «في سن معينة قال لي شخص إني إنسان موهوب.»

ذُهلت سيلينا من اعترافه بشيء حدث في طفولته فقالت: «من أخبرك ذلك؟»

توترت عضلات وجهه وكأنه سيرفض الإجابة عن سؤالها. ثم أشار لها: «الطبيب الذي كان يعالج جدتي. لم تكن واعية دائماً لما يدور حولها. لذا كلفني بمهمة الاهتمام بتقديم الدواء لها في مواعيده المحددة. ثم أصيبت بالسكري، أيضاً، لكنها رفضت أن تتعلم حقن نفسها بالدواء، فعلمني ذلك حين بلغت السابعة من عمري. لقد قال إني أملك الموهبة. طبعاً فقد وفر بذلك على نفسه الزيارة اليومية لمنزلنا. على أية حال، اكتشفت أني أحب مادة العلوم في المدرسة. وحين انتهيت من دراستي الثانوية كنت مولعاً بالبحث العلمي، في البداية فكرت في البحوث ثم اكتشفت أني أحب تشخيص المرض أكثر، على أمل شفاء المرضى أو على الأقل تخفيف آلامهم.»

لاحظت سيلينا أن طريقة حديثه عن جدته أيضاً لم تكن عاطفية. فقالت متسائلة: «هل تعتبر مرضاك نوعاً من التحليل العلمي؟» وفكرت في ردة الفعل عند سكان سميثشاير إذا عرفوا شعور الطبيب الجديد نحوهم.

لاحظ ريد نبرة عدم الموافقة في صوتها. فتمالك نفسه وقال مشيراً إليها بفخر: «أنا أعتبر كل حالة من الحالات تحدياً شخصياً أمر به. وهدفي هو تحقيق الصحة السليمة لكل منهم.»

واعترفت بينها وبين نفسها بأنه إنسان عملي. وهو

www.rewity.com ريما

طبيب ممتاز. بالإضافة إلى أنها لم تألف الحكم على الناس من قبل. وحدثت نفسها، من السخيف حقاً أن أهتم بتصرفاته بهذا الشكل. «أعتقد أن هذا هو ما يطلبه المريض من طبيبه.» قالت له بصفاء ومدت له يدها قائلة: «هدنة؟»

أشار لها. «هدنة.» وصافح يدها. رغم ذلك كانت عدم موافقتها تزعجه وهو يسير إلى جانبها. ومع أنه امتنع في سن مبكرة عن الاهتمام برفض الناس أو قبولهم لما يفعله. لماذا هو الآن يفكر بها ويمنحها فرصة ثانية؟ هذا ما أقلقه.

نظرت سيلينا إليه وهما ينعطفان من شارع بيرش إلى شارع ماين. «إن كنت ستبقى متجهماً هكذا سيظن الناس أنك نادم فعلاً على الزواج مني.» كانت تتكلم بهدوء والحزن يتفاقم داخلها وأضافت: «لأنها الحقيقة.»

تمتم بصوت خفيض: «سيعرض خططنا للفشل.» وابتسم بصعوبة ثم أشار لها: «ما رأيك؟ هل أبدو كرجل ينعم ببركة الزواج، أم أبدو كشخص يبتسم كالأحمق دون سبب؟»

لاحظت سيلينا أن الابتسامة لم تظهر في عينيه، أرادت أن تقول له إنه يشبه رجلاً يواجه الموت بشجاعة، لكنها رأت فجأة الابتسامة تطل من أعماق عينيه الزرقاوين.

«طبعاً. الأحمق وحده يؤمن ببركة الزواج. في كلا الحالتين يجب أن أقوم بدوري على أكمل وجه.»

«الكثير من الناس وجدوا بركة الزواج ولم يكونوا أغبياء، كأجدادي مثلاً.» كانت مصرة على عدم الاقتناع بنظرته المتشائمة حول الناس.

أشار لها. «ومع ذلك وافقت على ترتيب الزواج هكذا دون انتظار الرجل المناسب.»

«لاحظت أنه لم يأت بعد، ففكرت في أنه لا يوجد شخص مناسب لي.» لم تشأ الاعتراف بأنها كانت تفكر بذلك منذ مدة طويلة. لكنها طالما شعرت بالبعد عن الآخرين. لم تشعر قط أنها ضمن مجموعة معينة. ربما بسبب صممها. والمدهش، أنها أدركت فجأة أنها لم تشعر قط بالبعد عن ريد. لم يكونا صديقين. ولكل منهما نظرة مختلفة إلى العالم. وهو يحافظ على مسافة معينة حول نفسه ليتأكد من عدم اقتراب أحد منه. ومع ذلك فقد شعرت بالارتباط به. «هذا لأننا معاً في هذا الزواج. إننا نتعاون لتحقيق أهدافنا.»

قطب جبينه وهو يتصور سيلينا مع رجل آخر لا يعرفه. مجرد التفكير بها مع رجل آخر أزعجه. لابد أني أصبحت أفكر كرجال الكهف. فقد أصبحت أعتقد أنها امرأتي. سخر من نفسه.

وقالت سيلينا في محاولة لتحويل موضوع الحديث: «نحتاج بعض الحليب.»

وافق ريد. وكانا قد اقتربا من شارع ماين العريض الذي يضم حديقة عامة جميلة المنظر تتوسطها بركة ماء ونافورة. وفي الجهة الأخرى من الشارع، كان يوجد المصرف ومكتب البريد وعدة محلات تجارية، ومركز الشرطة الذي يضم عدداً من مكاتب البلدة.

وسمعا صوتاً يناديهما، حين وصلا إلى نهاية شارع بريتش وانعطفا نحو شارع ماين. «دكتور بريسكوت، سيلينا.»

نظر ريد إلى الحديقة فوجد أوليفيا ستيوارت تجلس قرب زوجها بروس على مقعد في الحديقة. وكز ريد مرفق

www.rewity.com

سيلينا وهو يلوح، حتى تتمكن من رؤية السيدة العجوز.

استدارت سيلينا لتشاهد أوليفيا وهي تدعوهما لعبور الشارع. كانت أوليفيا وبروس خارج المدينة منذ عدة أسابيع. إنها المرة الأولى التي تشاهدها فيها سيلينا منذ إعلان خطبتها على ريد. فقالت في نفسها: حان الوقت للتصرف كالعرسان الجدد. فابتسمت وتوجهت مع ريد نحو الزوجين لتقبل التهنئة منهما.

قالت أوليفيا لسيلينا بعد أن اقتربت هي وريد من الممشى الحجري الذي يحيط بالحديقة: «لقد أوصلنا حفيدنا إلى البلدة هذا الصباح. لقد ذهب ليقص شعره. كنت سأطلب منه مرافقتنا إلى منزلكما فيما بعد، نريد أن نبارك لكما بالزواج.»

فأجابت سيلينا: «شكراً لكما.»

لاحظ ريد أن المرأة العجوز تحاول جاهدة الإشارة لسيلينا لكن إجهاد القلب يؤثر عليها ويتعبها فبدأ هو بتفسير كلامها لكنه سمع سيلينا تجيبها قبل أن ينهي إشاراته. فعرف أنها فهمت حركات شفتي أوليفيا. فاستدار نحو السيدة العجوز وشكرها بدوره.

نظرت أوليفيا إلى ريد بنعومة ثم تصلب ظهرها ونظرت إلى سيلينا قائلة: «كنت أتساءل هل تمانعين لمس يدي.» ومدت يديها نحو سيلينا. «أشعر بألم فيهما. وبروس يستيقظ متألماً من ركبته معظم الليل.» نظرت إلى ريد من جديد وقالت: «لم أقصد الإهانة يا دكتور بريسكوت، لكن الأدوية لا توقف الألم دائماً، ونحن لا نريد زيادة الجرعات إن استطعنا ذلك. وكلانا لا يحب حقن الكورتيزون تلك.»

توترت ملامح ريد. ثم بدأ يشير لسيلينا وهو يتحدث معهما. «إن كانت لمسة سيلينا تساعد على تخفيف الألم دون استخدام الحقن، فأنا مسرور بذلك. إنما تأكدا من الحضور إلى العيادة في المواعيد المحددة أو إذا شعرت بأي ألم في الصدر.»

عبست أوليفيا وبدت نافدة الصبر: «سنحضر إليك طبعاً. لقد اتفقنا مع سيلينا على ذلك.» ثم ابتسمت فجأة ممازحة. «طبعاً أعتقد أنكما لم تجدا الوقت الكافي للتحدث عنا نحن العجزة.»

فقال وهو يفكر بضرورة الاستفهام من سيلينا فيما بعد عن عدد الأشخاص الذين يزورونها بانتظام: «لا، لم تسنح الفرصة.»

وفكرت سيلينا. أخفى استياءه جيداً، ونظرت إليه لترى تعبيراً مهذباً على وجهه. لكنها شعرت بغضبه الخفي كما تشعر بالألم في يدي أوليفيا. أمسكت يدي العجوز جيداً. وبدأت بتدليك العظام بلطف حتى شعرت بالحرارة تخف منهما ورأت خطوط التعب والألم تختفي عن وجه أوليفيا.

قالت السيدة، وهي تلمس وجه سيلينا بلطف بعد أن تركت يديها: «شكراً يا صغيرتي.»

ابتسمت سيلينا ثم استدارت نحو بروس.

قال لها وهو يشير إلى المساحة الخالية على المقعد الذي يجلس عليه: «والآن تعالي اجلسي بقربي.» فأطاعته سيلينا فجلست قربه ووضعت يدها على ركبته اليمنى فقال: «أنت المرأة الوحيدة التي تسمح لها زوجتي بلمس ركبتي.» وضحك من قلبه.

www.rewity.com ريما

ضحكت سيلينا أيضاً، لقد قال هذه الجملة ألف مرة، لكنه كان يتمتع بها كل مرة وكانت هي تحب أن تراه سعيداً. عرفت سيلينا أن ألمه شديد من قوة الحرارة التي تشعر بها تحت يديها. ومرة أخرى بدأت بتدليك موضع الألم ببطء حتى خفت الحرارة.

لم يتغير تعبير وجه ريد. كان يشعر بأحاسيس مختلفة، فقد فرح لرؤية العجوزين يرتاحان بعد لمسة سيلينا لهما. لكنه خاف من اقتناعهما بقدرتها ومسؤوليتها عما تفعله. أراد أن يقول لهما إن شعورهما بالراحة ينبعث من داخلهما، وليس من لمسة سيلينا، لكنه كان يعرف أنهما لن يصدقاه.

بدأت الحركة تزداد في شارع ماين بعد أن ترك ريد وسيلينا أسرة ستيورات وتوجها إلى بقالة لانغلي. شاهد ريد سيلينا وهي تلوح بيدها لمن يلوح لها. وفي المتجر راقبها تتحدث مع عدد من الناس ومع المسؤول عن الصندوق.

ما أن غادرا شارع ماين، ورجعا إلى شارع بريتش، حتى نظر إليها ثانية. كان يحمل كيس الخضر، الأمر الذي منعه من الإشارة لها، لكنه هذه المرة لم يكن يرغب بالإشارة: كان يريد أن يعرف مدى قدرتها على قراءة الشفاه. لمس كتفها فنظرت إليه وكان قد اختار موضوعاً لن تحزره أبداً فقال: «من المفروض أن نشاهد الليلة نجوماً سيّارة.»

توقعت سيلينا أن تسمع من ريد شيئاً بخصوص عائلة ستيوارت. لكنها لم تفكر أبداً أنه سيتحدث عن النجوم السيارة. رمقته بنظرة شك وقالت: «من قال لك ذلك؟»

أجابها: «زيبلون لانسكي.» وهو يتساءل إن كانت قد فهمت كلماته حقاً ثم أردف: «حين كنت تتحدثين مع سامنتا برانت.»

فقالت مفكرة: «يفترض أن للنجوم المتحركة سحراً من نوع خاص.»

إنها المرة الأولى التي يسمع فيها ريد أن للنجوم المتحركة سحراً. فنظر إليها بعمق وهو يذكر ما قاله الطبيب عن تأسيس بلدة سميثشاير. ربما لم يعرف الطبيب أن الناس هنا كما وصفهم تماماً. عادت سيلينا لتنظر إلى الطريق أمامها. فلمس كتفها وقال: «هل تؤمنين بالسحر؟»

تدافعت فجأة الذكريات الحزينة إلى عقل سيلينا وقالت: «أخبرتني أمي حين كنت صغيرة، أني أستطيع تحقيق أية أمنية لي إذا طلبتها عند رؤية أول نجمة من كل ليلة. وبدلاً من طلب الأمنيات المختلفة قررت أن أتمنى ما هو أهم بالنسبة لي. كل ليلة تمنيت الحصول على السعادة. وعندما بلغت الخامسة عشرة قتل والدي في الحادث وأصبحت صماء.» توترت ملامحها وأجابت: «لا، أنا لا أؤمن بالسحر.»

شعر ريد بالحزن لأجلها لكنه في نفس الوقت تنهد بارتياح، وتناسى الحزن الذي رآه على وجهها فلمس كتفها من جديد وقال: «حتى اليوم، لم أكن أعرف أنك ماهرة هكذا في قراءة حركة الشفاه.» أراد أن يعود إلى السبب الذي جعله يبدأ هذه المحادثة. «اعتقدت أنك لا تتقنين قراءة الشفاه، لأن كل من يعرف الإشارة يساعدك بالترجمة لمن لا يعرف.»

www.rewity.com ريما

«أستطيع أن أفهم بشكل عام ما يقوله الناس لي، خاصة الذين عشت معهم طوال حياتي.» أجابته وهي ترى التساؤل في عينيه وأردفت: «لكن معظم الناس لا يصدقون ذلك، لذا يشيرون لي أو يكتبون كلامهم على ورقة ليتأكدوا من أني أفهم ما يقولون. أنا لا أهتم بذلك، بل أشعر أني بأمان أكبر بهذا الشكل.» وقطبت جبينها وهي تضيف: «لا أستطيع دائماً قراءة حركات الشفاه مع الغرباء، خاصة إن كانت لهم لكنة خاصة. يلزمني بعض الوقت للتعرف على الأشخاص الجدد حتى أتمكن من متابعة كلامهم.» ما أن قالت جملتها حتى فكرت بحالة ريد، لقد تمكنت من قراءة حركات شفتيه بشكل تام. نظرت إليه، وأمعنت النظر في شفتيه فوجدت نفسها تذكر متعة قبلاته ولذة البقاء قربه.

وفكرت تلوم نفسها: أنت تشغلين بالك به كثيراً. وعادت تنظر إلى الطريق الممتد أمامها. لكنها كانت متوترة ولم تستطع البقاء صامتة فقالت: «أحياناً تكون مجرد ذكرى. الناس يكررون نفس الكلام أحياناً. قول بروس ستيوارت بأني المرأة الوحيدة التي تسمح لها أوليفيا بالاقتراب منه مثلاً. إنه يقولها في كل مرة.»

لمس ريد كتفها من جديد وقال: «هذا موضوع آخر سنتحدث فيه في ما بعد.»

تمنت سيلينا لو أنها قطعت لسانها قبل أن تذكر عائلة ستيوارت. لكنها ذكرتهم. وهو على أية حال، سيناقشها في الموضوع. فكرت بذلك وهي تبعد اللوم عن نفسها.

وصلا إلى المنزل. فأومأ لها بالدخول قبله. دخلا إلى المطبخ فتساءلت سيلينا وهي تضع علب الحليب في

الثلاجة، عما سيقوله ريد لها. إذا حاول منعها من التصرف حسب حريتها سيقع بينهما خلاف قوي. هدأت أعصابها واستدارت لتواجهه.

رغم معرفة ريد بقدرتها على فهم ما يقوله إلا أنه قرر استخدام الإشارة ليتأكد من فهمها الكامل للموضوع فقال ببطء: «أنت تدركين حتماً أنك مجرد دواء يرضي المريض. لأن الشعور بالراحة من الألم يأتي من داخلهم، وليس من لمستك لهم.»

واجهت سيلينا السخرية من قبل. وتساءلت حول قدرتها على مساعدة الناس والتخفيف من آلامهم. لكن تصرفه أربكها فردت عليه: «أن يكون المرء حبة سكر، أفضل بكثير من أن يكون حبة مرة يبتلعها الآخرون.»

حملق فيها ريد، لم يشأ أن يؤذي شعورها. لكنه قلق على مرضاه. «أنا لا أقول إن ما تفعلينه خطأ. ولكن أريدك أن تفهمي وتتأكدي من إرسال المرضى إلي لتقديم العناية الطبية اللازمة لهم.»

نظرت إليه بحدة وقالت: «لقد تناقشنا في هذا الموضوع، وقد وعدتك بشكل قاطع بألا أحاول أبداً علاج أي مريض.»

مرر يديه في شعره بعصبية، اعتاد على عدم الاهتمام برأي الناس به، إنما يجب أن لا تغضب هي منه. «أنت على حق. ديبورا رامزي وطفلها بخير الآن. أقدر لك اقناعها بالحضور لرؤيتي.» لم يصدق أنه كان يحاول إرضاءها. فقال في نفسه: لا أريدها أن تطردني من غرفة النوم. ففي النهاية، إنه زوجها.

لم تستطع سيلينا أن تعاتبه على شكوكه. والتشاجر معه

www.rewity.com ريما

لا يحقق هدفها من هذا الزواج، ذكرت نفسها بذلك. قالت له بمودة ليعرف أنها هدنة أخرى بينهما: «إنني مسرورة بذلك.»

في اليوم التالي، وجدت سيلينا نفسها قلقة على الهدنة بينها وبين ريد. لقد مرت فترة الصباح بشكل هادىء. ذهبت معه إلى الكنيسة ثم تناولا الغداء في مزرعة فاليري مع جديها وعمتها اديل. عادت بعد ذلك هي وريد إلى المنزل وجلسا على الشرفة لقراءة الصحيفة.

بدأت سيلينا بحل الكلمات المتقاطعة حين جاءت هارييت كالفونو مع ابنتها كارلا التي تبلغ الشهرين من عمرها، وابنها صموئيل البالغ أربعة أعوام.

رأت ريد يضع الصحيفة جانباً فنظرت في نفس الاتجاه لترى المرأة تفتح باب الحديقة ومعها طفلاها.

قالت هارييت: «كنا في نزهة، وفكرت في زيارة سيلينا.» أرادت بقولها أن توضح لريد أن زيارتها لم تكن طبية، وتابعت سيرها نحو درج الشرفة.

ابتسم ريد بتهذيب، وعاد لقراءة الصحيفة.

وقفت هارييت قبل أن تصل إلى الدرج بقليل، تركت العربة وأشارت بالتحية لسيلينا. ثم تابعت سيرها نحو الشرفة.

كانت سيلينا تحب هارييت. فقد كانتا زميلتين أثناء سنوات الدراسة. وبعد الحادث الذي وقع لسيلينا، كانت هارييت أول من تعلم لغة الإشارة من أجلها. وقفت سيلينا لتساعد المرأة على حمل العربة وقالت لها: «أنا مسرورة بحضورك.»

وصلت سيلينا إلى العربة حين قامت هارييت برفع الطفلة منها. أخذت سيلينا الطفلة منها، ولاحظت أن شعر الصغيرة ما زال كالوبر ولم تتمكن من معرفة لونه في المستقبل لكن للفتاة لون عيني والدها البنيتين. أما الصبي فقد كان يشبه أمه كثيراً، فكرت بذلك وهي تبتسم له. كان له لون شعر هارييت الأسود ولون عينيها الرماديتين الضاربتين إلى الخضرة. وفمه وأنفه يشبهان فم والدته وأنفها. أمسكت هارييت بيد الصبي وساعدته على صعود الدرج، وتقدمتهما سيلينا إلى كرسيين شاغرين قرب ريد.

جلست سيلينا وراقبت هارييت وهي تقول لريد: «مساء الخير يا دكتور.» رأته يرفع نظره عن الصحيفة ليبتسم في وجهها بترحيب ويعود للقراءة مجدداً.

لم يكن في تصرف ريد ما يجعل المرأة غير مرتاحة، ومع ذلك فقد شعرت سيلينا أن هارييت تخفي توترها خلف ابتسامتها الودودة. ريد طبيب جديد في البلدة، وهو غريب تماماً عن المنطقة. عللت السبب في نفسها وهي تتساءل عن سبب عدم راحتها بوجوده. وبعد أن جلست هارييت في مكانها، لاحظت سيلينا قلقها فقالت في محاولة منها لتخفيف توتر المرأة: «يبدو لي أن طول صموئيل زاد انشاً تقريباً منذ زيارته الأخيرة إلى المكتبة.»

ابتسم الصبي الصغير بخجل. فتركت والدته ذراعه لكن بدل أن يتحرك قربها، التصق بها أكثر، ضاغطاً على ساقيها.

فكرت سيلينا أن تصرف الصبي لم يكن طبيعياً إذ هو،

www.rewity.com ريما

عادة، يحب الانطلاق، وقد توقعت أن يتجه نحو ريد ويبدأ معه حديثاً. ثم فكرت أن خجل الصبي يعود حتماً لكون ريد طبيباً. وبما أن الأطباء يحقنون الأطفال بالإبر المختلفة فقد ارتبطت صورة الأطباء عندهم بتجارب غير محببة. بعد أن أقنعت نفسها بأنه السبب الأكيد لخجل الصغير، عادت لتتحدث مع هاريت فقالت: «كارلا تكبر بسرعة.»

ابتسمت هاريت بمودة وقالت: «أجل.»

لكن حتى الابتسامة التي ظهرت على وجهها لطفلتها أخفت شيئاً من التوتر. سألتها سيلينا وهي تحاول أن تعرف إذا كانت المرأة على خلاف مع زوجها: «كيف حال سام؟»

فأجابتها هاريت بنظرة مستسلمة: «إنه بخير.» وأضافت: «إنه في طريقه إلى كاليفورنيا في رحلة طويلة. يجب أن أعترف، أني أكره غيابه المتكرر عن المنزل. لكن أعرف ذلك مسبقاً. يجب أن تتوقع المرأة ذلك حين تتزوج سائق شاحنة. أعرف نمط الحياة التي وافقت عليها حين تزوجته، لذا يجب ألا أشكو. إنه والد جيد وزوج حنون.» أنهت جملتها وهي تنظر تجاه سيلينا.

نظرت سيلينا في نفس الاتجاه، فوجدت ريد مستغرقاً في قراءة الصحيفة. من الواضح أنه يريد أن يسمح لهما بالتحدث دون تدخل منه. لم تستطع أن تمتنع عن التفكير به. فقد كان يبدو طبيعياً في مكانه على شرفتها. وكأنه ينتمي إلى هذا المكان. لكنه لا يريد البقاء هنا، ذكرت نفسها بذلك وفكرت في اتباع مثال هاريت وعدم نسيان الاتفاق الذي رضيت به. أبعدت أفكارها عن ريد، وعادت لتنظر إلى هاريت. لقد بدت السيدة غير مرتاحة أبداً.

وأشارت هاريت: «ربما كان يجب أن أحضر إليك غداً في المكتبة.»

انزعجت سيلينا من شعور الناس بعدم الراحة في منزلها بسبب وجود ريد معها.

«أهلاً بك في كل وقت. أنا وريد نستمتع بالرفقة.» قالت ذلك لهاريت وهي تنظر نحو ريد ليؤكد كلامها.

وضع ريد الصحيفة جانباً، وابتسم. «أكره أن أشعر بأن حضوري يخيف أصدقاء سيلينا.»

احمرت وجنتا هاريت من الخجل. «ليس حضورك ـ بالتحديد ـ أقصد.» نقلت نظراتها بين ريد وسيلينا. «أشعر أني متطفلة فقد أزعجتكما بعد ظهر الأحد وهذا أمر سخيف.»

قالت سيلينا لها وهي تلمس ذراعها بعد أن تأهبت للخروج: «ما عهدتك امرأة سخيفة. أرجوك أن تخبريني عن سبب حضورك إليّ.»

جلست هاريت من جديد، ووضعت ذراعها حول كتف صموئيل. «في غياب سام انشغلت كثيراً بالصغيرة وأخشى أن يكون صموئيل يشعر ببعض الغيرة. على أية حال إنه يشكو منذ عدة أيام من ألم في بطنه. لكنه ليس مريضاً، أقصد، أنه لم يتقيأ أبداً.» نظرت إلى ريد ثم عادت لتقول لسيلينا: «أعرف أنه يود جذب الأنظار إليه. وبصراحة أنا لا أملك المال الكافي لنقله إلى الطبيب في كل مرة يشكو فيها.» توترت ملامح وجهها ثم أردفت: «وأنا أيضاً لا أريد أن أشجعه ليصبح موسوساً بالمرض مثل والدتي.»

اعترفت سيلينا أن باولا برادلي أسوأ موسوسة بالمرض

www.rewity.com ريما

في البلدة كلها. وقد سمعت الجدة تابر ذات مرة تقترح عليها أن تشتري منزلاً مقابل عيادة الطبيب لتكون على ثقة أنه بجوارها دائماً.

نظرت هاريت إلى سيلينا قائلة: «على أية حال، اعتقدت لو أنك نظرت إليه أو لمسته على بطنه. لأتأكد فقط من أنه ليس مريضاً.» أنهت جملتها وهي تشعر بتأنيب الضمير.

نظرت سيلينا نحو ريد فوجدته يحملق بها ببرود تام. شعرت أنه يتحداها وأن الهدنة بينهما في خطر. فكرت بذلك وهي تشير لصموئيل بالاقتراب منها.

«لم يكن يجدر بي الحضور اليوم.» قالت هاريت وهي تشاهد وجه ريد العابس، وقد لاحظت النظرة المتبادلة بينه وبين سيلينا.

ابتسمت سيلينا. «إن رؤيتك ورؤية كارلا وصموئيل تبهجني دوماً.» وأعادت الصغيرة إلى أمها وأشارت للصبي من جديد بالاقتراب منها.

«هيا.» دفعته هاريت بلطف وهو ما زال يتعلق بساقها.

شجعته سيلينا. «هيا، صموئيل.»

تقدم الصبي بتردد، ثم وقف ثابتاً أمامها.

«أين تتألم؟» سألته بلطف.

أشار إلى سرته.

مررت سيلينا يدها بلطف على مثانته، فشعرت بحرارة أسفل بطنه في الجهة اليمنى. شعرت بشيء غير طبيعي. ابتسمت للصغير حتى لا تخيفه، واستدارت نحو ريد. «لنتأكد فقط، من الأفضل أن يراه الطبيب.»

رفع ريد حاجبيه بتساؤل.

أشارت له بسرعة. «زائدة دودية.»

نظر إليها ساخراً، ثم ركز اهتمامه على الصبي. «يجب أن يبقى الرجال معاً.» قال له، ثم نظر إلى والدته وأضاف وهو يحاول السيطرة على انفعالاته: «أفضل رؤية مرضاي بنفسي، إذا شعروا بشيء غير طبيعي.» ولما رأى الاحراج بادياً على وجه هاريت، وبخ نفسه على إظهار غضبه. وقال لها بصوت أخف نبرة وأكثر وداً: «أنا متأكد أننا نستطيع الاتفاق على نفقة عائلية عامة حتى تتمكني من تحمل كافة مصاريف استشارتي.»

فأجابته هاريت بخجل: «لم أرغب بازعاجك دون سبب واضح.»

فقال مؤكداً: «رؤية صموئيل لا تزعجني أبداً.» وعاد للاهتمام بالطفل.

في اللحظة التي أبعد نظره عنها، لمست هاريت كتف سيلينا. «هل يعاني صموئيل من مرض ما؟» أشارت لها بقلق، ما أن استدارت سيلينا نحوها.

«هذا ما سيخبرنا به الطبيب الآن.» أجابتها سيلينا وقد تركز اهتمامها على ريد والصغير. ولدهشتها فقد نشأت علاقة فورية بين ريد وصموئيل. وكأن صداقة حميمة بدت في نظرة الصبي والرجل وحين طلب ريد من صموئيل الاقتراب منه، أطاعه الصبي دون تردد.

ركع ريد على أرض الشرفة حين اقترب منه صموئيل وقال له: «استلق.» لمس أسفل بطن الصبي بلطف. وبعد لحظات استدار نحو هاريت: «هناك احتمال أن تكون حالة زائدة دودية. من الأفضل أن تأخذيه إلى المركز

www.rewity.com

الطبي في غرينفيلد لإجراء بعض الاختبارات الطبية له.»

شحب لون هاريت. «هل هو مريض حقاً؟»

رأت سيلينا الشعور بالذنب بادياً على وجه المرأة فاستدارت نحو ريد لتراه يقول: «في حالات كثيرة عند الأطفال، لا يمكن اكتشاف الزائدة الدودية حتى تصل إلى مرحلة متقدمة. تصرفت بحكمة بإحضاره إلى هنا بعد ظهر اليوم. إذا صح تشخيصي تكونين قد وفرت على الصبي الكثير من الوقت والمعاناة.»

اعترفت سيلينا أنه يتمتع بحكمة الطبيب ولطفه، حين رأت أن الشعور بالذنب قد زال نسبياً عن وجه هاريت.

ربت ريد على كتف سيلينا وقال: «سوف آخذ هاريت إلى المستشفى في غرينفيلد.»

فقالت وهي تشعر أن هاريت قد تحتاج إلى بعض التشجيع: «سأرافقك إلى هناك.» ثم استدارت نحو صديقتها وسألتها: «بمن سنتصل ليحضر للاهتمام بكارلا؟»

فأجابتها هاريت وهي تقف بسرعة: «سأتصل بحماتي، والدتي لا تتحمل مثل هذه المواقف.»

أومأت سيلينا برأسها وقادت المرأة نحو الهاتف داخل المنزل.

بعد عدة ساعات، لم تحظ سيلينا بفرصة للتحدث مع ريد على انفراد. فقد نقلوا الصبي إلى المستشفى ووجدوا أن الزائدة الدودية ملتهبة وأن الصبي بحاجة لجراحة عاجلة.

انتهت العملية وقد نجحت بشكل ممتاز وبقي صموئيل في غرفة العناية.

كان والد هاريت وحموها برفقة هاريت وسيلينا في غرفة الانتظار. لقد وصل الرجلان إلى المستشفى بعد وصول ريد وسيلينا وهاريت مع الصغير بفترة قصيرة. بقيت والدة هاريت في المنزل. «لأنها لا تتحمل الحالات الطارئة أبداً.» هكذا فسر والد هاريت غياب زوجته: «ما أن سمعت الخبر حتى شعرت بمرض مفاجيء. وقد وعدتها بالاتصال بها واطلاعها على ما يحدث.» حركت هاريت رأسها وكذلك حموها لاقتناعهما بما يقوله وقد رأى ريد تعابير الارتياح على وجوههم لأن باولا فضلت البقاء في المنزل.

وقف ريد قرب سرير صموئيل في غرفة العناية وابتسم للصغير. «أنا مسرور لأن جدك يستطيع الآن أن يخبر جدتك بأنك على ما يرام.»

كان الصغير نائماً، لكن مفعول المخدر بدأ بالزوال فظهرت على وجهه ابتسامة ناعمة.

لقد جرب ريد من قبل الشعور بالراحة والرضى عند إنقاذ مريض ومساعدته على الشفاء. «أراك غداً.» وعد الصغير واستدار ليعطي تعليماته للممرضة، ثم توجه إلى غرفة الانتظار. لقد حان وقت عودته مع سيلينا إلى المنزل.

لاحظت سيلينا أن هاريت تنظر نحو الباب، فنظرت بدورها لترى ريد يدخل الغرفة.

قال: «لقد رأيت صموئيل للتو. إنه بخير، وهو الآن في غرفته.» ونظر إلى جميع أفراد عائلة الصبي. «سترافقكم الممرضة الآن لزيارته.»

ابتسمت هاريت شاكرة. «شكراً لك يا دكتور.»

www.rewity.com

«يجب أن تشكري سيلينا أيضاً.» أجابها ريد.

ذهلت سيلينا من اعترافه بمساعدتها أمام الجميع، فوقفت عاجزة عن الكلام بينما هارييت تشكرها وتعانقها.

انتظر ريد حتى انتهى جد الصغير من شكره أيضاً ثم قال: «يجب أن أرحل أنا وسيلينا الآن.» ثم نظر إلى هارييت. «لكن أريدك أن تتصلي بي إذا قلقت من شيء.»

أومأت له هارييت.

ما أن وصلت سيلينا إلى الممر مع ريد، حتى نظرت إليه، وهي ما تزال مذهولة من اعترافه بمساعدتها له أمام الجميع.

وقال رداً على التساؤل البادي في عينيها: «الغبي فقط ينكر قدرتك.» ثم أردف بتهذيب محاولاً إفهامها أنه غير راغب بمناقشة الموضوع أكثر فقال: «أنا متعب جداً، هيا بنا إلى المنزل.»

وفكرت سيلينا وهما في طريقهما إلى سميثشاير في أنه يبدو متعباً جداً وقد شعرت بأن لا فائدة من الكلام مع حلول الظلام وعدم قدرتها على قراءة حركة شفتيه. بالإضافة إلى أنه مضطر للتركيز على الطريق. لم تكف عن التساؤل رغم ذلك، إن كان مقتنعاً الآن بموهبتها، أم أنه يعتقد أنها خمنت مرض الصغير من باب الصدفة. قالت لنفسها إن الموضوع لا يهمها. لأنها لم تكترث من قبل لأفكار الناس حول قدرتها. كانت تفرح دائماً بقدرتها على المساعدة.

لكن ما أن دخل ريد المنزل وأضاء النور حتى أمسكت بذراعه لتمنعه من الصعود إلى الطابق العلوي وسألته: «هل تعتقد حقاً أنني شعرت بمرض الصبي؟»

نظر إليها ريد بوقار لحظة، ثم قال: «تفكيري المنطقي يرفض الاقتناع بما حدث الآن. لكن الطبيب العجوز ليس غبياً وباعتبار ما قاله لي، فقد حدثت معه هذه الأمور من قبل، ولا يمكنني تجاهل اكتشافك لوضع ديبورا رامزي. من الواضح أنك تتمتعين بمقدرة على تحديد المرض.» ظهرت ابتسامة متعبة على وجهه وأردف: «أنت زوجة عملية جداً للطبيب.»

عرفت سيلينا أنه يمدحها. لكنها حملت نفسها على الابتسام بعد أن شعرت بمرارة كلمة «عملية». اعترفت أنها لا تريده أن يفكر بها كزوجة عملية. لكنها الحقيقة، ذكرت نفسها بذلك وهي تراقبه يصعد إلى غرفة النوم. وهو أيضاً لم يكن أكثر من زوج عملي. لأنهما تزوجا بعد عقد اتفاق عملي، من الحكمة أن تتذكر كلمات هارييت: «أعرف الحياة التي وافقت عليها لذا يجب ألا أشكو أبداً.» يجب ألا أشكو أبداً. ذكرت سيلينا نفسها بحزم. يجب أن ترضى هي وريد إذا حصل كل منهما على ما يريده من هذا الزواج. سوف تصاب بأذى إذا بدأت بتمني المزيد.

رغم هذا الحديث المقتضب مع ذاتها، إلا أنها لم تستطع إلا التفكير به حين استلقت قربه على السرير في ما بعد. إنه إنسان منغلق على ذاته ويعتقد أن الناس أنانيون. لكنها شاهدت الاهتمام الصادق في عينيه حين قام بفحص صموئيل. يوجد خلف قوقعة الانطواء على الذات، رجل يهتم بالآخرين. لقد كانت متأكدة من ذلك. لكنها واثقة أيضاً أنه لن يسمح لأحد بتحطيم هذه القوقعة والاقتراب من الرجل الذي يهتم بالآخرين. وحدثت نفسها أن تكف عن التفكير به بهذا

www.rewity.com ريما

الشكل. لكن حين أغمضت عينيها، شعرت بلمسة خفيفة على كتفها.

رفع ريد جسده على مرفقه ونظر إليها وسألها: «كيف حال قدرتك على تخفيف آلام الرأس؟»

تمنت أن يقول لها شيئاً أكثر حناناً. «أعتقد أنك تعتبرني سبب آلام رأسك، وليس الشفاء منه.»

لم يستطع ريد أن يجادلها. «أعرف أن الحياة معي صعبة. لكنك لم تمانعي في الزواج مني.» كان يتكلم بطريقة مهذبة، لكن صدى الكلمات تردد في ذهنه، فقد كان يعرف أنها الحقيقة. إنني بحاجة للحب الذي تمنحني إياه. برد أفكاره لنفسه.

كانت سيلينا غاضبة من نفسها. فلم يكن هو من يجعل زواجهما صعباً... إنها هي السبب. لأنها تريد منه أكثر مما وافقت عليه عند زواجهما وهذا ليس عدلاً. فقالت له: «الحياة معك ليست مزعجة.»

شعر ريد بالراحة وفسر راحته بأنه أراد تحقيق هدفه من هذا الزواج وقد كان ذلك سببه الوحيد لسعادته بعدم طردها له وتمنى لو حصل على زوجة أقل إغراءاً. ازداد الألم في رأسه فقال لها: «شكراً.» وعاد ليرتاح على الوسادة.

شعرت سيلينا بألمه من التعب البادي على وجهه. استدارت وجلست قربه وبدأت بتدليك صدغيه.

قال لها وقد بدأ الألم في رأسه ينخفض: «لمساتك مريحة فعلاً.» كان مغمضاً عينيه، فرفع يديه ليمرر أصابعه بلطف على شفتيها. لمساتها كانت مريحة وقربها منه حرك رغباته.

لم تتمكن سيلينا من فهم الكثير من كلماته، وقد بحرارة يده. ركزت اهتمامها على يديها، وأدركت أنه أصبح أحسن حالاً فقالت له وهي تعرف أنه متعب للقيام بأي نشاط آخر: «من الأفضل أن ننام الآن.»

كان يعرف ريد أنها متعبة. قبلة صغيرة فقط. وعد نفسه بذلك فقال: «شكراً لك.» فتح عينيه وجذبها نحوه في قبلة خفيفة.

عذبها اقترابها الخاطف من صدره وشفتيه وحذرت نفسها بأن الاقتراب منه خطر عليها. فهي تعرف أن زواجها منه لن يدوم. ولم ترغب بإيذاء نفسها حين ينتهي هذا الزواج. ولكن ما أن شعرت بحرارته حتى اختفى القلق على المستقبل أمام لحظات الرغبة التي تشعر بها.

نظر إليها ريد في ما بعد وهي تنام قربه، يجب أن يعترف أنه سعيد بالزواج منها. وظهرت ابتسامة رضى على شفتيه، لم يصدق في حياته أنه قد يقابل امرأة تشعل فيه نار الحب مثلها. مساعدتها على إنجاب طفل كانت أكثر متعة مما توقع. والأمر الذي زاد راحته أنه لم يرتبط بها عاطفياً. فقد كانا شخصين راشدين يتبادلان العون لتحقيق أهدافهما.

www.rewity.com

الفصل التاسع

حاولت سيلينا مقاومة نوبة الغثيان لكنها كانت قوية. وللبوم الثاني على التوالي تسرع إلى الحمام حيث وقفت تنظر إلى وجهها الشاحب في المرآة. لم يمض على زواجها سوى شهرين ونصف.

عبست بعصبية. لا بد أن لدرهم الحظ قوة أكبر بكثير مما كانت تعتقد. لقد تمنت أن تحمل في وقت قريب، لكنها لم تتوقع حدوث ذلك في مثل هذه السرعة. واللحظة، شعرت ببعض الندم لأنها حققت هدفها بسرعة. كانت تتمتع بقربها منه.

ذكرت نفسها، أن حملها لا يعني نهاية العلاقة بينهما. لكن هذا يعني أن عائلة سميث ستعقد معه اتفاقاً بخصوص المكتب وقد يعتبر هو أنهما نفذا الاتفاق. وقد يطرح مسألة الطلاق حتى يعود حراً من جديد. حسناً، له الحرية المطلقة في نمط الحياة الذي يختاره. ستأخذ هي الطفل، وهو كل ما تريده.

وتمتمت لنفسها: «من الأفضل أن أتأكد من الحمل قبل أن ابدأ باعداد حاجيات الطفل.» كان ريد قد غادر المنزل باكراً في اليومين اللذين شعرت فيهما سيلينا بغثيان ودوار لا يقاوم. وفي المساء السابق، ذهب بعد تلقي نداء لحالة طارئة وكان قد تناول عشاءه للتو ولم يلحظ مرض سيلينا حينها. سوف تخبره الليلة، ليقوم ببعض الاختبارات غداً منعاً لأي شك محتمل.

ضغطت بيدها على أسفل بطنها وشعور بالفرح يغمرها. ظهرت ابتسامة على زوايا فمها، تعبها لم يكن مرضاً أو انفلونزا. كانت متأكدة من ذلك، حتى دون اختبار.

كان ريد قد وصل تقريباً إلى شارع ماين، حين استدار وعاد إلى المنزل. كانت سيلينا شاحبة هذا الصباح أثناء تناول الإفطار. ولم تكن تبدو على ما يرام في الصباح السابق أيضاً. لذا وجد عذراً لزيارتها في المكتبة بعد ظهر أمس لكنه وجدها بخير ولام نفسه بصوت مسموع: «أنت تفكر بها كثيراً.»

ومع ذلك، أكمل طريقه نحو المنزل، دخل من المطبخ وعبر منه إلى الصالة فسمعها داخل حمام الطابق السفلي.

فتحت سيلينا باب الحمام بعد دقائق، ووقفت مذهولة تحملق في منظر ريد المتكىء على الحائط المقابل.

هل تشعرين بدوار صباحي؟ كان لا يصدق طبياً، أن أعراض الحمل تظهر على المرأة منذ اللحظات الأولى. لكنه لم يشك أبداً في أن سيلينا حامل.

فأجابته:طبعاً، أتريد اجراء بعض التحاليل للتأكد من الأمر.»

«طبعاً.» لقد قال لنفسه مليون مرة من قبل أن الطفل سيكون لها. لكنه، فجأة شعر بروابط هائلة مع هذا الطفل الذي لم يولد بعد. وصحح لنفسه ليست روابط بالضبط وإنما مجرد شعور بالمسؤولية تجاهه . بدت ملامحه جامدة وهو يقول: «أريدك أن تعرفي، في حال كنت حاملاً، إنني أريد مساعدة الطفل مادياً مدى الحياة.»

www.rewity.com

إنها على حق إذاً، هنأت نفسها على ذلك. إنه يفكر فعلاً بالانفصال عنها. شعرت بألم داخلي. وقالت لنفسها، إنها مجرد خيبة أمل. كانت تتمتع بقربه منها وبعلاقتها به وستفتقده حتماً حين يرحل. ورغم ذلك أخفت ألمها لتقول: «لم يكن هذا جزءاً من اتفاقنا.»

أزعجه أن تحاول طرده من حياة طفلهما. «لقد ساعدتك للحصول على هذا الطفل. وسيتوقع سكان البلدة مني أن أساعده.»

درست سيلينا ملامحه الجامدة. وتذكرت أن الرجل يحاول أن يعيش حياته وكأنها واجب. «الطفل بحاجة إلى الحب، لا أن يكون مجرد مسؤولية مادية.»

«هذا صحيح. وأنا أعرف أنك ستغمرين الطفل بالحب، ومع ذلك أرى أن تربية الطفل عبء مادي ضخم، وأنا أريد أن أتأكد من أنه يحصل على كل ما أستطيع تقديمه إليه.» كان يتكلم بحزم وهو يشير بكلماته ليؤكد لها ما يريد.

عرفت سيلينا أن لا فائدة من مناقشته. رفضت كبرياؤها الاذعان لما يقوله، لكنها بتفكيرها المنطقي عرفت أنها لن تكون قادرة على ما يستطيع ريد توفيره للطفل. «افعل ما تشاء.»

أومأ برأسه وقال: «لنقم ببعض التحاليل الآن ثم نرى إن كانت هذه المناقشة ضرورية.»

دخلت إلى المكتبة بعد ذلك بقليل، ولاحظت أن يدها ترتجف قليلاً. لقد جاءت نتيجة الاختبار إيجابية. كانت متأكدة من ذلك وسعيدة به، لكنها متوترة بعض الشيء. لأن الطفل لن يحظى بوالدين تقليديين، لكنها ستهتم به كثيراً،

أكدت لنفسها ذلك. ستؤمن له الحب مع ضروريات الحياة. وسيعمل ريد على تأمين كل ما هو قادر على تقديمه للطفل.

لكن كل هذا ما زال في علم الغيب. أما الآن فيجب أن تخبر جديها وعمتها اديل بالأمر. وقد طلب منها ريد البدء بتناول الفيتامينات على الفور. أراد أن يكتب لها اسم الدواء، لكنها طلبت منه الانتظار يوماً. فقد ولدت وعاشت في هذه البلدة. كانت تعرف أن خبر حملها سينتشر في أنحاء البلدة حالما أن تدخل إلى الصيدلية لشراء الدواء. وقد أرادت أن تخبر جدتيها وعمتها بنفسها.

ما أن وصلت بريندا إلى العمل، حتى تركتها سيلينا تنوب عنها في المكتبة وتوجهت إلى متجر عمتها.

وسألتها اديل فور دخولها: «لمن أدين بزيارتك غير المتوقعة هذه؟»

نظرت سيلينا حولها لتتأكد من عدم وجود زبائن، واستدارت من جديد نحو اديل، التي كانت تنظر إليها بامعان وما لبث أن أشارت لها بثقة: «إنك حامل.»

فذهلت سيلينا. «كيف عرفت؟»

زمت اديل شفتيها. «أكبر دليل على ذلك هو تأكدك من عدم وجود أحد وكأنك تريدين البوح بسر لا تريدين أن يسمعه أحد.» ثم أضافت: «ومن حركة شفتيك المتوترة أعرف أنك تريدين أن تقولي شيئاً لا تعرفين كيف سيكون رد فعلي تجاهه.»

اعترفت سيلينا ضمنياً أنها كانت قلقة من أن تقول عمتها أن الحمل حدث بسرعة. فسألتها: «إذاً، ما هو رد فعلك؟»

ضحكت اديل وقالت: «بمعانقتك». واقتربت من سيلينا

www.rewity.com

بسرعة وعانقتها بقوة. ثم تراجعت إلى الخلف، وقد بدا على وجهها تعبير جاد. «أعرف أنك تريدين طفلاً. لكن ما هو موقف ريد؟»

«إنه مسرور.» أجابتها سيلينا بصدق. فهو يعرف أني أريد طفلاً.

ابتسمت اديل من جديد. «السعادة مشتركة اذاً.» ثم ضاقت نظرتها وقالت: «هل اخبرت جديك؟»

هزت سيلينا رأسها نفياً. «لقد اكتشفت ذلك هذا الصباح.»

فأشارت اديل بثقة: «إنها أفضل لحظات في حياة المرأة. سوف أتصل بجدتيك وأدعوهما إلى الغداء اليوم. عليك أن تحضري وتفاجئيهما بالخبر.»

عانقتها سيلينا وقالت: «أعرف دائماً أنك ستساعدينني.»

ارتاحت سيلينا كثيراً وقد سار كل شيء على ما يرام. فقد فرحت جدتاها بالخبر وقد تكونان فكرتا بأنها حملت بسرعة بعد زواجها، لكن أياً منهما لم تقل لها شيئاً. وقد رأت بعض القلق على وجهيهما حتى أكدت لهما أن ريد مسرور جداً بحملها. استرخين بعد ذلك، وأمضين بقية الوقت، أثناء تناول الطعام، في التحدث عن الأطفال. تنهدت سيلينا بارتياح، وهي تعود إلى المكتبة. قالت بريندا لسيلينا فور عودتها: «جاء الدكتور بريسكوت بعد ذهابك بقليل.»

قلت له إنك ذهبت لزيارة عمتك اديل وقد قال إنه سيراك في المنزل هذا المساء. نظرت بريندا فجأة بقلق. «لم تتشاجرا... أليس كذلك؟»

فقالت سيلينا مؤكدة: «كلا...»

بدت بريندا محرجة. «لم أقصد التدخل في شؤونك لكنه بدا متعباً أو مشغول البال. أعتقد أنه يعالج مريضاً في حالة خطرة.»

«محتمل.» أجابتها سيلينا دون تعليق، وهي تتساءل إن كان ريد قد غير رأيه بخصوص أبوته أو أنه نادم على عقد هذا الاتفاق.

قالت بريندا: «بعض الأشخاص في هذا البلدة يسببون التعب فعلاً.» ثم نظرت فجأة نحو الباب.

تبعت سيلينا نظرتها لترى الأختين ميلون تدخلان المكتبة. «سأهتم بهما بينما أنت تتناولين غداءك.» قالت سيلينا ذلك وهي مسرورة لوجود عذر لها للتخلص من نظريات بريندا حول مزاج ريد.

حاولت في الساعات التالية أن تبعد وصف بريندا لريد عن ذهنها. لكنها استمرت بالتفكير به. إن كان قد غير رأيه بخصوص الطفل، فسيكون الموضوع كله من سوء حظه، فقد وافق على عقد الاتفاق، ومع ذلك فقد ازداد توترها. وأخيراً تركت بريندا وحدها في المكتبة، وتوجهت إلى مكتب ريد.

قالت غليندا: «سينتهي قريباً من معاينة مريضة. عليك انتظاره في مكتبه، وسأخبره بوجودك هنا.» لاحظت سيلينا أن ابتسامة غليندا المعتادة ليست موجودة. «هل كان عملكم اليوم شاقاً؟» سألتها علّ غليندا تخبرها عن مريض ذي حالة صعبة.

دفعت غليندا كرسيها إلى الخلف لتتمكن من الإشارة لها بسهولة. «دعيني أوضح الأمور بهذا الشكل.» بدت وقد فقدت

www.rewity.com

صبرها وزال قناع الهدوء عن وجهها. «إن كنت قد تشاجرت مع الدكتور بريسكوت هذا الصباح، فأرجو أن تصلحي الأمور الآن، لأن العمل معه اليوم كان صعباً جداً.»

بدأت معدة سيلينا بالتقلص. «سأبذل جهدي.» لكن حين استدارت لتدخل مكتب ريد، لم تكن تعرف ماذا ستفعل. حتماً، لن تتخلى عن طفلها.

دخلت المكتب، وجلست تنتظره. بدأ الغضب يسيطر عليها. بعد لحظات وقفت واتكأت على المكتب، تحدق في الباب. لم يكن له أي حق في التدخل في حملها! رأت أكرة الباب تدور فتصلب ظهرها.

عبس ريد بقلق حين رأى وجهها. فسألها بسرعة وهو يدخل إلى المكتب ويغلق الباب خلفه. «ماذا بك؟ هل استاءت عمتك من خبر حملك؟»

ذهلت سيلينا من تعبير الاهتمام البادي على وجهه. «عمتي وجدتاي مسرورات كثيراً.

«لماذا العبوس إذاً؟»

نظرت إليه وقد فقدت صبرها. «لأني قلت لهن أنك مسرور بحملي. والواضح عكس ذلك.»

«ما الذي جعلك تعتقدين هذا؟» كان يتحدث كالمتهم جزافاً.

زادت دهشتها. «لقد جعلت بريندا وغليندا تعتقدان أننا على خلاف، ومن يعرف من غيرهما يعتقد ذلك. من الواضح، انك وبعد التفكير في وضعك أنّبت نفسك على التورط في هذه القضية.»

تنهد ريد بعمق. «ربما يكون كلامك صحيحاً.» اعترف

لها. «كنت أقول في نفسي دائماً إنه من الأسهل لي أن أفكر أنه طفلك.» ضرب قبضة على يده الأخرى ليؤكد كلامه. «لكني أشعر بالمسؤولية تجاهك وتجاهه.»

«لم أطلب منك ذلك. إنه طفلي أنا.» ولتعلن له قوة موقفها ضربت، أيضاً، قبضتها على كفها الأخرى.

دلك ريد وجهه بتوتر. «أعرف. لكني قلق عليك وعلى طفلك طوال النهار. وقد فكرت أنك لم تأكلي شيئاً مغذياً منذ يومين. لهذا السبب ذهبت إلى المكتبة. لأتأكد من أنك لم تتقيأي طعام الغداء.»

بدا وكأنه عالق بين المطرقة والسندان. لم تقصد أن تجعله يشعر بمثل هذه الحيرة. أجل، لقد تقيأت طعام الغداء. لكن جدتي قدمتا النصائح بخصوص هذه الأعراض المرضية. بالاضافة إلى أن جميع النساء يمررن بهذا الوضع بينما هن وأطفالهن بصحة جيدة.

«أعرف، أعرف. ولكن بصفتي طبيباً، أعرف كل التعقيدات التي قد تطرأ.»

ملأها الخوف على طفلها. «هل هناك سبب يجعلك تشك باحتمال حدوث هذه التعقيدات لي؟»

هز رأسه. «لا. أنت بصحة سليمة وما زلت دون الثلاثين.»

تنهدت سيلينا بارتياح. ثم عادت لتنظر إليه من جديد وتقول: «لكني سأكون من أتعس الأمهات. عندما تعرف بريندا وممرضاتك بأني حامل، سيفترضن أنك لست مسروراً، وسينتشر الخبر في البلدة كما تنتشر النار في الهشيم.»

www.rewity.com

«من الأفضل إذاً أن أقوم بإجراء وقائي قبل أن يزورني جدان غاضبان يسألان عن سبب عدم سروري بالطفل. انتظري هنا.»

اعترافه بأنه أخطأ بالتورط معها آلمها كثيراً. سوف أتأكد من فهمه لعدم مسؤوليته تجاهي أو تجاه الطفل. وعدت نفسها بذلك.

جلست تنظر إلى الباب من جديد، ولاحظته يفتح. أخفت التعابير العدائية عن وجهها فور دخول غليندا وكارين والطبيب العجوز معهما، يلحقهم ريد. وقف الثلاثة في خط مستقيم مقابلها، واقترب ريد ليقف قربها.

«أريد أن أعتذر منكم على تصرفي اليوم. أعرف أني كنت حاد الطبع لكني متوتر الأعصاب.» سكت وابتسم بنعومة، هذه الابتسامة التي تزيد من ضربات قلب سيلينا.

نظرت سيلينا إلى الآخرين، فرأت الممرضتين تبتسمان وكأنهما غير مقتنعتين بهذا العرض. بينما لاحظت، أن الطبيب، يقف بهدوء، والقلق ظاهر في عينيه.

وضع ريد ذراعه حول كتف سيلينا وقال بصوت عال: «لقد اكتشفنا هذا الصباح أن سيلينا حامل.»

بدا متوتر الأعصاب وفخوراً بأبوته في نفس الوقت. فكرت سيلينا بذلك وهي تراقبه. كانت تعرف أنها مسرحية، لكنها كانت شاكرة له.

«هذا يفسر توتر أعصابك اليوم.» قالت غليندا وهي تشير لسيلينا، ثم أضافت: «من المعروف أن الأطباء هم أسوأ مرضى. ولكن من تجاربي أقول لكم إنهم أسوأ آباء ينتظرون طفلاً. إنهم يقلقون على كل كبيرة وصغيرة.»

وأضافت كارين: «هذا أكيد.» واقتربت السيدتان من سيلينا وعانقتاها مهنئتين.

عادت الممرضتان إلى عملهما، بعد تهنئة ريد. وبقي الطبيب واقفاً، انتظر حتى أوصدتا الباب خلفهما ثم نظر إلى ريد وسيلينا. «أتمنى أن يكون زواجكما على ما يرام. أكره أن أفكر في أني نصحتكما بشيء تندمان عليه الآن.»

أجابه ريد: «لقد عرضت علينا حلاً وقد أخذنا به. نحن راشدان. ولا داعي للشعور بالذنب لما يحدث بيننا. لقد حصلت سيلينا على ما تريده. وإذا تمكنت أنا من تحقيق هدفي سيكون كل منا سعيداً.»

عبس الطبيب. «كنت أتمنى أن يتحول الاتفاق إلى زواج حقيقي.» وظهرت في صوته نبرة ندم. «أعتقد أني لا أصلح لاختيار الازواج.»

أكدت له سيلينا شكرها. «لقد انجزت عملاً جيداً. وأنا لست نادمة أبداً.» لكن كلمات ريد أثارت حزنها، فوعدت نفسها من جديد أن تجد وسيلة لاقناعه بأنه ليس مضطراً للاهتمام بها أو بالصغير.

تحول اهتمام الطبيب نحو ريد. «أثناء حمل سيلينا ستؤكد لبراين بقاءك هنا مما سيدفعه لتوقيع عقد العمل معك.»

«عندها نكون قد حصلنا على ما نريد.» قال ريد، وهو يعلم أن الطبيب يسعى لسماع تأكيده بنجاح هذا الزواج، لكنه لم يتمكن من قول شيء. لم يتوقع أن يشعر بمثل هذه المسؤولية تجاه سيلينا أو الطفل. أعتقد أني لست متجرداً من العواطف البشرية كما كنت أريد أن أكون. تمتم بذلك،

www.rewity.com

وهو يشعر بحاجة للفرار، فنظر إلى ساعته وقال: «هناك مريض بانتظاري.» ثم غادر المكتب.

ما أن أوصد ريد الباب خلفه، حتى اقترب الطبيب من سيلينا وسألها: «يعاملك بشكل جيد. أليس كذلك؟»

«يعاملني بشكل ممتاز.»

بدا الطبيب مرتاحاً، ثم عادت خيبة الأمل إليه. «أعتقد أني أتحول إلى شخص رومانسي سخيف كلما تقدمت في السن، لكني كنت أتمنى أن تتمكني من كسر هذه الصدفة التي يعيش داخلها. إنه يخبىء شعوره جيداً، لكني رأيت اهتمامه بالمرضى حين تناقشنا بأمورهم الصحية.»

فقالت بلطف: «علمتني الحياة أن أتقبل الحلو مع المر. لقد قدمت لي فرصة لأحصل على ما أريد بطريقة تتقبلها عائلتي. ولهذا سأبقى شاكرة لك. وأتمنى أن يحصل ريد على عقد العمل ليكون قد حقق ما يريده.»

عانقها الطبيب. ثم رجع إلى الخلف قليلاً وأشار لها. «تعرفين أين تجدينني إذا أردت أن تتحدثي عن أشياء لا تريدين مناقشتها مع عمتك أو جدتيك.»

وعانقته سيلينا مرة أخرى وهي تشكره، ثم غادرت المكان.

حين مرت من غرفة الانتظار، رأت نظرات التشجيع من غليندا وكارين، فعرفت أن تفسير ريد لتصرفه كان مقبولاً لديهما وعندما عادت إلى المكتبة أخبرت بريندا عن حملها وأوضحت لها كم يخاف عليها ريد في هذه الفترة.

كم يخاف عليها، كانت جملة واقعية. فكرت سيلينا

بذلك وهي تنظر إلى ريد على مائدة العشاء. فقد أخبرها للتو أنه استخدم اميلي سوير لتنظيف المنزل مرة في الأسبوع.

«وقد استأجرت جوش أيضاً للقيام بعمل الحديقة.» أنهى كلامه بحزم.

احتجت سيلينا قائلة: «كنت أعتقد أن التمارين مفيدة للمرأة الحامل.»

«أنت تعملين دواماً كاملاً. لا أريدك أن تجهدي نفسك حتى لا تتعبي صحياً. وبما أنك أخبرت عائلتك أنك حامل، فقد مررت على الصيدلية وأحضرت لك الفيتامينات.»

اضطرت سيلينا الاعتراف بأنه لو أراد هذا الطفل كما تريده هي، لكانت حياتهما الآن متعة كبيرة. لكنها تعرف السبب الحقيقي لكل تصرفاته. «لا تحاول أن تدفع ثمن مسؤوليتك يا ريد، لأنك لست مسؤولاً عن شيء. لقد أردت هذا الطفل، وقد ساعدتني على ذلك. قمت بدورك في الاتفاق. لذا أنت لست مديناً لي أو له بأي شيء بعد الآن.»

تجهم وجه ريد. «اعتقدت أني أوضحت لك رأيي هذا الصباح، لست من ذلك النوع من الرجال الذين ينجبون ويرحلون دون أن يفكروا بأولادهم. اعتقدت أني قادر على ذلك، لكني لن أستطيع. سوف تقبلين مساعدتي شئت أم أبيت.»

ازداد غضب سيلينا مرة أخرى وهي تسمعه يوضح أنه يعتبر نفسه كالواقع داخل فخ. لكن ما أن شعرت بالرغبة في الصراخ في وجهه، لم تتمكن من ذلك. فجانب العدل في

www.rewity.com ريما

نفسها منعها من ذلك. ليس من حقها أن تغضب إن كان يشعر بالارتباط بها أو بالطفل. يبدو أنه لم يفكر بهذه المرحلة، وهذا ما يجعله كئيباً. فقالت له بدلاً من ذلك: «من المفروض أن أكون شاكرة لك لإحضار من يساعدني في عمل المنزل.»

هز رأسه موافقاً وبدأ يأكل.

شعوره بالمسؤولية تجاهها بدأ يقضي على أعصابها. ولم تتمكن من منع نفسها من القول: «من العادي جداً أن يشعر الأهل بالمسؤولية تجاه أولادهم. في الواقع إنه أمر طبيعي.»

عاد الانغلاق عن الناس يغلف ملامحه فأجابها بحدة: «إنه أمر طبيعي لكثير من الناس، لكن هذه ليست حال الجميع.» ثم نظر اليها فعرفت أن الحديث انتهى عند هذا الحد، عاد لتناول طعامه مرة أخرى.

أرادت سيلينا أن تقترب منه وتلمسه، أن تخفف تعبه، لكنها لم تفعل. فهي تعرف الآن أن ريد بريسكوت، رجل يعاني جراحاً عميقة، جراحاً لن تشفى أبداً.

قال لها ريد وهو يعود إلى المنزل بعد عدة أيام: «من الواضح أن حملك هو ما كان ينتظره براين سميث. لقد جاء اليوم ليعقد معي اتفاق عمل. فقلت له إني أريد أن أشعر بالأمان معه فطلبت عقداً لمدة عشر سنوات. فمنحني خمس عشرة سنة. سنوقع الاتفاق الأسبوع المقبل، وسأتولى مهمتي في كانون الثاني/يناير القادم. سيبقى الطبيب معنا نصف دوام. فهو يقول إن التقاعد التام في هذه المرحلة سيجعل وقت فراغه كبيراً جداً.»

«أنا سعيدة من أجلك.» قالت سيلينا ذلك وهي تشعر بسعادة فعلية. ولكنها شعرت بتوتر وهو يتحدث معها. فلم تتوقع أن يعقد براين سميث الاتفاق بهذه السرعة. أجبرت نفسها على التحدث بصوت مرتفع، فقالت له: «أعتقد أن اتفاقنا ينتهي ما أن توقع الأوراق معه.»

هز ريد رأسه موافقاً. لقد توقع أن يشعر بالحرية. لكنه شعر بالندم بدل ذلك. «أعتقد أني سأبقى إلى حين ولادة الطفل من أجل المظهر الإجتماعي فقط.» فكر أنه أمر منطقي، ولكنه لا يحب ابداً فرض وجوده على أحد، ولم يكن ينوي أن يفعل ذلك الآن. «إن كنت طبعاً قد مللت وجودي هنا، يمكنك طردي في أي وقت تشائين.»

تمنت سيلينا أن تعرف إن كان يرغب حقاً بالبقاء معها. لكن كبرياءها منعتها من البقاء معه إن أراد حريته. فأجابته بصدق: «أنا لا أمانع وجودك معي. وأنت على حق من أجل المظهر الاجتماعي، سيكون بقاؤك هنا أفضل حتى ولادتي. لكني لا أريدك أن تبقى إذا لم تكن راغباً بذلك.»

جزء منه أراد الرحيل. لم يستطع إنكار ذلك. لكنه سمع نفسه يقول لها: «إذا تركتك الآن سيغير براين رأيه بخصوص الاتفاق. ولا أريد أن يأتي جداك لتمزيقي إرباً بتركك وحيدة وأنت حامل. أعتقد أن بقائي الآن أفضل لي ولك.»

انزعجت سيلينا لأن بقاءه كان لتجنب المشاكل فقط. لكنها فكرت في أن الاتفاق بينهما ينص على التصرف بعقل ومنطق. «أنت على حق. لن تبدو جميل المنظر بعد أن يمزقك جداي.»

www.rewity.com

شعر ريد بالراحة. مع أنه أكد لنفسه في الصباح الباكر أنه لا يهتم برغبتها في رحيله بعد أن اطمأن على الاتفاق الذي سيعقده مع براين. والآن عاد ليؤكد لنفسه أنه لا يهتم أبداً. إنه يشعر بالراحة لأن بقاءه معها سيجعل حياته أسهل. وقد اعترف أيضاً أنها تبدو لطيفة في السروال القصير الذي ترتديه. وفكر في أنه مضطر لوضع القيود حول علاقتهما. ومن جهة أخرى، فكر أنه يستطيع الإفادة والتمتع بقربها منه إذا بقي معها.

وقال وهو يقترب منها: «كنت أفكر بدعوتك إلى العشاء للاحتفال.»

أجابته: «لست متأكدة من أني أستطيع تناول الطعام في مكان عام.»

قال لها وهو يمد يده ليفك ازرار قميصها: «كنت سأساعدك على تغيير ملابسك.»

تمنت لو أن قدرتها على مقاومته أكبر. ولكن ما أن شعرت بلمسة يديه على بشرتها حتى اشتعلت نار الشوق إليه فعلقت قائلة: «يبدو أنك ستساعدني على خلع ملابسي لا على ارتدائها.»

فكر فجأة أنها قد تكره الآن أن يفعل ما يفكر هو به. فقال وهو يبتعد: «سأذهب للاغتسال بماء بارد.»

وحدثت هي نفسها: إنها فرصتي للابتعاد عن ناره التي تذيبني. ثم فكرت بعد أن ابتعد عنها انها ستندم على تفويت هذه الفرصة فاقترحت عليه: «لِمَ لا تصعد إلى غرفة النوم فأساعدك على خلع ملابسك بينما أنت تقرر ما تريد القيام به.» وسرعان ما وجدت نفسها بين ذراعيه بعد لحظات،

حملها وتوجه بها إلى الطابق العلوي. فأكدت لنفسها طالما أنا أعيش معه يوماً بيوم، وأتذكر دائماً أنه لن يبقى هنا للأبد، سأكون حتماً بخير.»

www.rewity.com ريما

الفصل العاشر

قالت سيلينا لريد وهما يتناولان طعام العشاء قبل حلول عيد الميلاد بأسبوعين: «يجب أن نشتري شجرة للميلاد.»

اعترفت سيلينا أن ريد تحمل الدعوات لعيد الشكر بشكل ممتاز. وبذلك تمكن أقاربها، ممن لن يستطيعوا حضور الزفاف من التعرف إلى ريد. وقد حضرا حفلتي عيد الشكر عند عائلة وارلي وعائلة تابر وذهبا يوم الجمعة إلى منزل جديها وارلي لتناول عشاء عيد الشكر وخصصا يوم السبت لحضور الوليمة النهائية عند جديها تابر. وبحلول يوم الأحد، أقسم ريد أن جلده سينبت ريشاً إن تناول لقمة أخرى من ديك الحبش.

لكنه أمضى الأيام الأربعة بشكل جيد وقد أثر بشخصيته على أقاربها. فلم تقتصر علاقته بعمتها وجديها على الأسلوب المهذب، إنما تعدى ذلك ليعاملهم بود ودفء وعامل أقاربها بطريقة لطيفة. فقد ضحك من الدعابات السخيفة التي قالها ابن عمها فريد. وأبدى صبراً رائعاً وهو يسمع عمتها صوفي تتحدث وتنسى بداية كل نكتة تود روايتها. لكن سيلينا تعرفه جيداً، فقد لاحظت أن ضحكته لم تظهر في أعماق عينيه. وشعرت ببرود خلف معالم وجهه المبتسمة وكأنه يحافظ على مسافة تبعده عن الجميع.

قالت لها جدتاها وعمتها فيما بعد انهن لاحظن جموده أثناء عيد الشكر لكنهن قدّرن أن يكون مرتبكاً من عدد الأقارب الجدد الكبير.

بدأت بتزيين المنزل في الأسابيع القليلة الماضية وذهبت معه لإحضار هدايا الميلاد، وقد شعرت به يقوم بهذه النشاطات بنفس أسلوبه في الذهاب للتسوق يوم السبت، فهو يشعر بأنه مجرد روتين موسمي يجب أن يهتم به.

لكن سيلينا تقسم أنها شعرت بوهج العاطفة في عينيه حين ذكرت له شجرة الميلاد. ثم ما لبث أن اختفى هذا الوهج، فقالت لنفسها أنها تخيلت ذلك فقط. بعد ذلك، شعرت سيلينا بأنها تقول لنفسها كل ساعة وكل لحظة إنها غير مهتمة بمعرفة المزيد عن ريد بريسكوت، عن الرجل الذي يحبسه داخله. إنما، يومياً، تأكدت من أنها تكذب على نفسها. تمنت لو أنه يسترخي قليلاً ولو لمرة واحدة. لكنه لم يكن ليفعل ذلك وهي كانت حمقاء لأنها فكرت أنها قادرة على تغييره.

رغم أفكارها، لم تستطع سيلينا إلا أن تراقبه جيداً وهو يسير بين صفوف الشجر، كان يبدو لها متعباً، لكنها ظنت، أنه يحاول جاهداً الحفاظ على صبره. كان الطقس بارداً جداً، لكنها أصرت على إلقاء نظرة على مجموعة الأشجار كلها قبل اختيار واحدة.

«هل أنت متأكدة أنك لا تريدين إلقاء نظرة أخرى؟» سألها بجفاء حين أشارت بيدها إلى الشجرة التي اختارتها، وقد عرفت حينئذ أن صبره بلغ الحد.

أجابته: «كلا. هذه جيدة.»

www.rewity.com

«جيد، لأني كنت أخشى أن أصبح قطعة من جليد قبل أن تستقري على رأي.»

سخرت سيلينا مرة أخرى من نفسها لأنها فكرت في أن هذه الجولة قد تلامس عاطفة هذا الرجل. من الواضح أنه كان يتوق شوقاً للابتعاد عن البرد.

كانت الساعة قد بلغت التاسعة حين وصلا إلى المنزل وأقاما الشجرة في مكانها.

وقالت له وهي تتراجع قليلاً لتنظر باعجاب إلى الشجرة الخضراء التي يبلغ طولها ستة أقدام وتشغل حيزاً كبيراً قرب النافذة في غرفة الجلوس: «إنها جميلة، سوف نضع عليها المصابيح الصغيرة الليلة. إنه أصعب أجزاء التزيين، وغداً مساء نكمل المهمة.»

قال ريد: «لك ما تريدين. فأنا لم أزين شجرة ميلاد منذ سنوات. يجب أن تعطيني الإرشادات اللازمة.»

مرة أخرى فكرت سيلينا أنها ترى شعوره بعدم الراحة، ما لبثت هذه النظرة أن اختفت لتحل محلها نظرة متسامحة صبور.

ما أن انتهى ريد من تعليق حبال الإضاءة الخمسة، ووصلها بالكهرباء ليتحقق من سلامة توصيلها وتبديل المصابيح المحترقة حتى حل التعب على سيلينا، وقد لاحظت أن ريد متعب أيضاً.

وقال لها وهو يطفىء مصابيح الشجرة: «سنكمل تزيين الشجرة غداً.»

كانت سيلينا تراقبه، وقد شعرت للحظة أنه بدا كمن يود الهرب من الغرفة. وعاد التعبير الجامد ليحل على وجهه،

فسخرت سيلينا من نفسها مرة أخرى لأنها تتصور أشياء سخيفة. فقد كانا متعبين، قالت لنفسها وهي تلحق به إلى الطابق العلوي. لإثبات وجهة نظرها، غرق ريد على الفور في نوم عميق. ومرة أخرى انّبت نفسها لأنها تشغل تفكيرها به كثيراً.

استيقظ ريد والعرق البارد يتصبب منه. كان يحلم. إنه كابوس قديم، لم يره في نومه منذ سنوات. كابوس ظن أنه تغلب عليه بنجاح وإلى الأبد. نظر إلى سيلينا آملاً ألا يكون قد أيقظها. وتنهد براحة وهو يراها تنام بسلام. استلقى لحظات دون حركة آملاً أن يتمكن من النوم ثانية. لكن بدل ذلك تدفقت الذكريات في مخيلته. ترك السرير ببطء وهدوء وذهب ليحضر حبة أسبرين.

بدأت سيلينا تستيقظ حين اهتز السرير بلطف. شعرت فجأة بقشعريرة، فمدت يدها، وهي نصف نائمة، لتبحث عن ريد. شعرت بدفء السرير مكانه لكنه لم يكن موجوداً. فتحت عينيها ونظرت حولها في الغرفة المظلمة. لم يكن في الغرفة أيضاً. انتابها شعور غريب بالوحدة فجلست تحدق في الظلام، بانتظار عودته.

لكنه لم يعد.

لا بد أن أحدهم اتصل به لحالة طارئة. تمتمت بذلك وهي تجلس وتمد يدها لتضيء المصباح الموجود قرب السرير. لكنها لم تجد أي ملاحظة على الورقة الموجودة هناك. عبست، فقد اعتاد على ترك ملاحظة لها حين يغادر ليلاً.

www.rewity.com ريما

نظرت إلى وسادته وقالت لنفسها. إنه كبير ويستطيع الاهتمام بنفسه. ارجعي إلى النوم. ورغم أنها أمرت نفسها بذلك، إلا أنها رفعت عنها غطاء السرير.

لا بد أنه يعاني من الأرق فنزل إلى غرفة الجلوس ليقرأ الصحيفة الطبية. تمتمت وهي قلقة من اهتمامها به. ثم سحبت رداءها وتوجهت نحو الباب.

لفت نظرها ضوء يلمع في الطابق السفلي. توجهت نحو غرفة الجلوس، فوجدت مصابيح شجرة الميلاد مضاءة وريد يقف بمواجهتها. كان حافي القدمين لا يرتدي سوى ازاره القطني القديم، وقد وضع يديه في جيبيه ووقف يحدق بالشجرة. لقد ذكرها برجل يستعد للقتال. اقتربت منه ولمست كتفه بنعومة. استدار بسرعة، فعرفت أنه كان غارقاً في أفكاره، لدرجة أنه لم يسمعها تقترب منه. فسألته: «هل أنت على ما يرام؟»

فكر بسرعة في أنه ليس على ما يرام. لكنه دفع أفكاره جانباً ثم أشار لها: «أنا بخير.»

أضاء وجهه بأشعة القمر المتسللة عبر النافذة وانعكست ظلال ألوان مصابيح الشجرة على عينيه فرأت سيلينا نظرته الموحشة. «لا تبدو على ما يرام.» قالت له، ثم خافت فجأة من أن يعترض على تدخلها به. لكن رغبتها القوية في الاهتمام به منعتها من الابتعاد عنه.

«لقد تذكرت طفولتي حين اشترينا شجرة الميلاد وزيناها.» وشعر فجأة أن صور الماضي وخيالاته ملأت ذهنه. وبدت ذكرياته حية لدرجة شعر معها أنه عاد إلى ذلك الزمن. «كنت أنا وجدتي نشتري شجرة الميلاد ونزينها كل

عام. كنت في الخامسة من عمري حين تركتني أمي مع جدتي. لقد أنجبت أمي وهي في الأربعين من عمرها. وقد ورثتني بعد أن بلغت الثامنة والستين. كانت أرملة تعيش على نفقة الضمان الاجتماعي من ريع فندق صغير تركه لها جدي. وكان والداي يرسلان المال بانتظام. لم يكن بالمال الكثير لكنه كان كافياً مع مدخولها هي وبذلك كنا نضمن وجود الطعام باستمرار والمأوى بشكل دائم.»

تركز اهتمام سيلينا على حركة يديه وشفتيه وهو يتحدث ويشير لها. كانت تعابير وجهه عميقة وقد شعرت أنه يشير بشكل أوتوماتيكي وقد نسي وجودها قربه.

اعتاد ريد على عدم التحدث عن طفولته لأنها من الماضي. ولا شيء يغير الماضي. فقد استطاع تجاوزه وقد ظن أنه قادر على إخفاء أقسى الذكريات داخل جوانب نفسه. لكن شبح الكابوس عاد وعادت معه الذكريات المرة التي يتمنى التخلص منها ونسيانها. والأسوأ من ذلك أنها ذكريات قوية عنيفة تدور في ذهنه وكأنها حدثت بالأمس. أمر نفسه بالصمت، لكن الحديث تدافع وتابع كلامه ليقول: «ذلك المأوى كان غرفة نوم واحدة في منطقة كوينز في نيويورك. كنت أنام على الأريكة.» ظهرت ابتسامة خفيفة على فمه. «لم يهمن ذلك أبداً، فقد كنت أستطيع الدخول إلى المطبخ في أي وقت، وكنت أشاهد التلفاز حين أريد، لأن الجدة كرانشو كانت صماء، لذا لم تسمع ما كنت أفعله أبداً.»

رأت سيلينا الابتسامة تختفي فجأة عن وجهه. ويلمع الغضب في عينيه ليكمل حديثه. «ما زلت أنكر حين طلبت مني أمي التصرف جيداً مع جدتي. لقد أقسمت أنها تريدني

www.rewity.com ريما

معها، لكنها لم تستطع الاهتمام بي وهي تنتقل من بلد إلى آخر تبحث عن عمل.» تنهد بعد ذلك وكأن الموضوع لا يهمه، وزال غضبه.

«كانت جدتي مريضة تعاني من مرض مزمن في القلب. لكني كنت حينها قادراً على الاهتمام بنفسي. أعرف كيف أفرغ رقائق الذرة من علبتها وكيف أصب الحليب في الوعاء. وكنت أحضر لنفسي شطائر المربى وزبدة الفستق.» ابتسم بقلق. «أذكر ذلك لأن والدتي كانت تؤكد دائماً لجدتي أنني قادر على الاهتمام بنفسي.» ومرة أخرى تنهد وكأن الموضوع لم يعد يهمه أبداً، ثم تغيرت ملامح وجهه ليبدو أقل توتراً. «على أي حال، اتفقت أنا وجدتي على العيش معاً بطريقة مريحة. كانت تهتم بي وأنا بالمقابل أهتم بها.»

تذكرت سيلينا أنه قال لها مرة شيئاً عن اهتمامه بتقديم الدواء لجدته في المواعيد المحددة. حتى أنه كان يحقنها بالانسولين باستمرار. لقد أدركت فجأة أنه لم يعش طفولته أبداً. فقد كان يهتم بنفسه بشكل تام وهو ما زال في سن الخامسة.

صمت ريد وبدأ يستعيد ذكرياته من الكابوس الذي رآه وهو نائم فنضح جبينه عرقاً بارداً بلل حاجبيه.

رأت سيلينا آلامه. ومرة أخرى شعرت بالخوف فقالت له، محاولة تخفيف مزاجه: «لا بد أنكما تعاونتما بشكل رائع؟»

أجابها: «أجل.» ارتجف فمه. «لكنها ماتت.» ارتعش جسمه لحظة فهو يذكر الكابوس مرة أخرى. كان في

العاشرة من عمره حين دخل الشقة بعد عودته من المدرسة. كانت جدته تجلس في كرسيها المفضل. «وجدتها هناك، عيناها مفتوحتان والتلفاز مضاء. كانت تبدو وكأنها تشاهده. لكني عرفت أن منظرها ليس طبيعياً. حاولت محادثتها. ولما لم تجبني، خفت فحركتها بعنف ورجوتها أن تتحدث إلي.» ظهرت تكشيرة على وجهه. «في الواقع وحسب ما قاله الجيران، إني كنت أصرخ قربها بأعلى صوتي. يمكنك أن تعتبري أني كنت أحاول إيقاظ ميت. لكني لم أفلح.» عاد الجمود ليخيم على وجهه. «اتصل الجيران بالطبيب وأخذتني عائلة أومالي التي تسكن في الشارع المقابل، لأبقى عندها تلك الليلة.»

تنهد بعمق وقد بدأت صورة جدته تختفي من ذهنه. «كنت أتساءل في ذلك الوقت إن كنت أستطيع البقاء عندهم أو إن كنت أستطيع إيجاد عمل والاحتفاظ بشقة جدتي، لكني سمعت السيدة أومالي تتحدث في الهاتف في وقت متأخر تلك الليلة. وأقسم أني كنت أعرفها منذ خمس سنوات ولم أسمعها قط تتلفظ بكلمات نابية، لكني سمعتها تلك الليلة. عرفت أنها كانت تحاول الاتصال بأمي. وتمكنت من ذلك فعلاً حوالى الساعة الثانية ليلاً. لقد سمعتها تقول لها: «لا أبالي بعواطفك الجياشة وحبك للمتعة ولنفسك ولن أمهد لك خوفاً عليك من الصدمة. احضري إلى هنا غداً. يجب أن تأخذي ابنك وتدفني أمك.» تصلب وجه ريد من ذكرى والدته التي لم تأخذه يوماً ما لم يأمرها بذلك أحد.

رأت سيلينا الغضب والألم في عينيه. عندما مات والداها أحاط بها أشخاص محبون أرادوا جميعاً أن تعيش معهم.

www.rewity.com

لكن الحياة لم تكن كذلك بالنسبة لريد. لقد تصورته صبياً صغيراً، وحيداً لا يريده أحد. بحثت عن شيء تقوله، لكن كل ما تفوهت به كان: «لا بد أنه كان وقتاً صعباً بالنسبة لك.» طبعاً كان، غبية، أجابت نفسها.

توتر ريد. إنه ليس بحاجة لشفقتها. كان حانقاً على نفسه لأنه أخبرها الكثير. إنها ذكرياته الخاصة.

ولاحظت سيلينا التعبير الجامد ينتشر على وجهه ليصبح جزءاً منه.

«تعلمت الاعتماد على نفسي.» وتذكر حين طلب من جو البقاء معها حين كان في الخامسة عشرة من عمره. كانت المرة الوحيدة التي نسي فيها الدرس الذي تعلمه حين ماتت جدته. ولن ينسى ذلك مرة أخرى. أنهى الحديث بشكل حازم فأشار لها: «المكان بارد وقد تأخر الوقت، يجب أن ننام قليلاً.» استدار وأطفأ مصابيح شجرة الميلاد.

عادت سيلينا إلى سريرها بعد دقائق، وكذلك ريد. لكن كان كل منهما ينام إلى ناحية مديراً ظهره للآخر. كانت تعرف أنه يريد ذلك.

وتذكرت نفسها، عندما وافقت على هذا الزواج كنت تعرفين أنه مصمم على عدم قبوله الارتباط بأية علاقة عاطفية معك أو مع غيرك . والآن أدركت كم كان مصمماً على ذلك. وعرفت أنها ستسبب لنفسها الأذى إن ارتبطت به عاطفياً. ومع ذلك، لم تتمكن من إجبار نفسها على الابتعاد عنه فجرحه عميق، ورغم رغبته الواضحة في إبعادها عن حياته إلا أنها أرادت أن تشعره بالراحة. «قدماي باردتان وأنا أرتجف من البرد.» قالت

له وهي تستدير نحوه: «يبدو أنني لن أشعر بالدفء.»

نظر ريد إليها. لم يحب أن يجد نفسه بحاجة لتعاطف أحد معه سوى نفسه. لكن فكرة الاقتراب منها كانت تساعده على نسيان الذكريات المؤلمة التي تتدفق في ذاكرته. رفع ذراعه ودعاها للاسترخاء على كتفه.

اقتربت منه والتصقت به. تمنت لو أنها تستطيع شفاء جراح طفولته، لكنها مقتنعة الآن أكثر من أي وقت مضى بأن جراحه عميقة جداً.

لف ذراعه حولها ونام وهو يعانقها. فشعر بدفء مريح كأشعة شمس الصيف اللطيفة تنتشر على جسده. لمسة لطيفة من أية امرأة تريحني، قال لنفسه وهو يدفع كوابيسه مرة أخرى إلى الأعماق المظلمة في ذاكرته.

لاحظت سيلينا في الصباح التالي أن ريد بعيد عنها أكثر من أي وقت مضى. لكنها كانت تتوقع ذلك. واستمرت لساعات متتالية تذكر نفسها بنصيحة والدة جو. وتذكرت جدتيها تقولان لها نفس الشيء ولكن بشكل آخر. «يجب أن تعتادي على العيش مع أخطاء الرجل، لأنه لن يتخلص منها أبداً.» كلاهما قالت لها ذلك عدة مرات. حتى أنها تذكرت كلمات هارييت كالفونو. «كنت أعرف نوع الحياة التي وافقت عليها، لذا يجب ألا أشكو.»

لكنها وجدت نفسها وأثناء تناول طعام الغداء، تتمنى كسر الحواجز التي وضعها ريد حول نفسه. تنهدت بقلق. حتى وإن كسرت تلك الحواجز، فهذا لا يعني أنه سيقع في غرامها. لقد وقف الطعام في حلقها حين فكرت بهذه الكلمة.

www.rewity.com ريما

إنها سبب مشكلتها. فهي تقول لنفسها دائماً أن شعورها تجاه ريد ما هو إلا لأنه والد طفلها. والآن أجبرت نفسها على الاعتراف بأنها كذبة. فهي ترى ما يوجد داخل هذا الإنسان المنطوي على ذاته وقد أحبته. غبية! صرخت في نفسها. لاتبدأي بالتمني في أنه قد يبادلك هذا الشعور يوماً، وإلا ستتعرضين للأذى.

الفصل الحادي عشر

حل شهر شباط/فبراير. وقد احترمت سيلينا رغبة ريد الصامتة في عدم التحدث عن ماضيه مرة أخرى. لقد اتفقا على، ما يبدو في ظاهره، روتيناً مريحاً من العيش المشترك. لكن خلف هذا الظاهر، فإن رغبته الدائمة في الابتعاد عن الجميع كانت تتعب أعصابها. وجدت نفسها تفكر أحياناً بأن الحياة أسهل بكثير إذا طلبت منه الرحيل بكل بساطة. على الأقل، في هذه الحالة لن تقلق وتفكر مسبقاً كيف ستواجه رحيله عنها. ولكنها تعود من جديد تفكر ببعده عنها، ووحدتها بدونه التي لن يملؤها أحد حتى بوجود الطفل. ربما يقرر هو البقاء وربما يقرر الاهتمام بها، عندها تتوقف عن التفكير.

طالما لا أسمح لنفسي بالاعتقاد أن هذا قد يحدث، سأكون بخير. تمتمت في نفسها وامتنعت عن مناقشة الموضوع. إن سبب عودتها للتفكير هذه المرة هو صندوق الحلوى ومجموعة الأزهار التي أحضرها لها في اليوم السابق، بمناسبة عيد العشاق. لقد ذهلت منه، حين دخل الغرفة حاملاً الهدايا. كانت قد جهزت له طعامه المفضل والحلوى التي يحبها، لكنها لم تتوقع منه شيئاً. ولم تكن تنوي أن تذكر له أن اليوم هو عيد العشاق.

ظهرت السعادة على وجهها وتفتحت آمالها من جديد، حين قال لها أنها تستحق الهدية والزهور لأنها تتحمل

www.rewity.com ريما

الحياة معه. ثم ما لبث أن قال إن أديل وغليندا وكارين والطبيب ذكروه بهذه المناسبة. وأنهى حديثه قائلاً: «لو لم أحضر لك شيئاً، لتلطخ اسمي في الوحل.» وبهذه الكلمات تلاشت كل سعادتها.

قالت بحنق، هذا الرجل يدفعني إلى الجنون. وهي تنظر إلى الساعة الموجودة قرب سريرها، كانت العاشرة ليلاً. بدأت ديبورا رامزي تشعر بالالم بعد ظهر اليوم، وقد طلب ريد من غليندا المرور على سيلينا في المكتبة ليقول لها إنه لن يكون في المنزل وقت العشاء وانه لا يعرف كم سيتأخر. شعرت بالتعب في التاسعة تقريباً فآوت إلى الفراش. لكنها لم تتمكن من النوم.

شعرت بحركة خفيفة، أبعدت ذهنها عن التفكير بريد، وعادت لتفكر في سبب أرقها إنها تعرف هذه الحركة، دون شك، إن طفلها يتجرك. وضعت يدها بلطف على أسفل بطنها. فكرت بهذه الحياة الجديدة بفرح وخوف. لقد شعرت بحركة الجنين لأول مرة منذ أسبوعين تقريباً، ومع شعورها هذا زاد شكها الذي كانت تقاومه منذ بداية حملها.

تلألأت عيناها بالدموع. كانت تكره البكاء، ولم تكن تستسلم له في حياتها. لكن الدموع تتدفق في عينيها مؤخراً، لأتفه الأسباب. وقد أكدت لها جدتاها وعمتها أديل أنه أمر طبيعي. ومع ذلك، فقد وبخت نفسها ثم مسحت دموعها جيداً. وما ان اهتز غطاء السرير حتى شعرت بشخص يقف قربها. اتضحت رؤيتها، ورأت ريد. كان يبدو متعباً ويراقبها باهتمام واضح.

سألها: «هل أنت مستعدة الآن للتحدث عما يزعجك منذ عدة أيام؟»

كان آخر شخص ترغب بالتحدث معه. فهزت رأسها. «إنها مجرد حالة تنتاب الحوامل.»

حدق بها بنظرة شك... «عندما بكيت على ما حدث في ذلك الفيلم السخيف منذ يومين. والغضب الذي استولى عليك حين احترقت كعكتك ذلك اليوم، لكن هذا القلق الذي أراه على وجهك مؤخراً هو أكثر من مجرد كونك حامل.»

احمر وجهها خجلاً وأكدت له: «ليس للأمر أهمية.» ثم استلقت على السرير وأغمضت عينيها.

وفكر ريد أن لها طريقة فعالة في إنهاء المناقشة، فكل ما عليها أن تفعله هو أن تدير لي ظهرها أو تغمض عينيها لتصبح في عالم آخر. والشيء الذي لم يكن يرغب بمعرفته هو أنها مستاءة منه. لكنه ليس من ذلك النوع من الأشخاص الذين يتجنبون الحقيقة. أمسك بذراعيها جيداً وساعدها على الاستدارة نحوه.

اعتادت سيلينا إغماض عينيها إذا أرادت عدم مناقشته في أي موضوع. لكن تصرفها هذه المرة سيكون صبيانياً جداً. بالإضافة إلى أنه سيكون قربها في الصباح. ومنعاً لتكرار المحاولة، فتحت عينيها.

واجهها ريد ببساطة. «أنا السبب. هل أرهق أعصابك؟»

«لا.» أجابته. ثم فكرت فجأة بأنه وقع عقده وربما يبحث عن طريقة مريحة ليبتعد عنها. فأرغمتها كبرياؤها على أن تضيف. «لكن إن كان الملل قد أصابك من هذا الزواج، فأنت حر في أن ترحل.»

www.rewity.com www.liilas.com/vb3/

ثارت أعصاب ريد من عرضها له. إنها تحمل طفله، ومن واجبه أن يبقى قربها حتى تلد. وقال لها مشيراً بحدة: «لم أقترح عليك رحيلي. سأبقى هنا حتى أتأكد من أنك والطفل على ما يرام.»

أرادت سيلينا أن تصرخ بوجهه، لم ترغب ببقائه قربها لأنه يشعر بأن ذلك واجب عليه تجاهها وتجاه الطفل، لكنها صمتت ولم تجبه، لم تكن ترغب بالتشاجر معه. طفرت الدموع من عينيها، فقد تأكدت أنه لم يتعلم بعد كيف يحبها. ولم تكن كلماته في تلك اللحظة هي السبب الوحيد لبكائها أمامه، بل كانت تعبيراً عما تشعر به، مما أحرجها وزاد عليه الضغط بشكل غير عادل. قالت له: «بعد أن اتضحت الأمور، أريد أنا والجنين أن نرتاح قليلاً.» واستدارت مرة أخرى على جانبها وأغمضت عينيها.

حدق ريد بها. كان دائماً يحذر الأزواج، وينصحهم بالتعامل مع زوجاتهم بلطف أثناء الحمل، لأن أجسادهن تمر بتغيرات عديدة تؤثر على مزاجهن وحالتهن العصبية بشكل عام. الآن يستطيع أن يتكلم بعد تجربة، فكر بذلك. واقترب منها من جديد فأمسك ذراعيها ليقلبها على ظهرها. عندما فتحت عينيها، أشار لها بحدة. «لم ينته أي شيء! أريد أن أعرف ما يزعجك.»

تصلب فك سيلينا. كانت تعرف ردة فعله على ما يقلقها، وهي لم تكن ترغب بسماع ذلك. «الأمر ليس مهماً.» أجابته بحزم.

صرخ ريد بوجهها. «لست امرأة لعوب. هذا ما عرفته عنك بعد أن عشت معك فترة. وحتى إن كان ما يزعجك أمر

سخيف، فهو يقلق راحة بالك.» وبدت نظراته آمرة. «إذا لم ترغبي بالتحدث معي، فاذهبي إلى أديل أو إحدى جدتيك. فالقلق يؤذيك ويؤذي الطفل.»

ارتجف ذقن سيلينا: «لا أستطيع أن أتحدث معهما أيضاً.»

حدق ريد بها عن كثب. تمنى أن يكون ما يزعجها أمراً ثانوياً لا يتعلق بموضوع حملها أو سلامتها. لكن خوفه عليها زاد بعد أن رفضت فكرة التحدث مع عمتها أو جدتيها. وأشار لها بحزم لا يفسح مجالاً للجدل: «أنت مضطرة إذن، للتحدث معي.»

شعرت بحركة الجنين من جديد. أحست سيلينا أنها مضطرة للتحدث مع أحد، ومع أنها لم ترغب بمناقشة الموضوع مع ريد بالتحديد، إلا أنها لم تشأ إخبار أحد بالأمر. جلست في السرير، ونظرت إليه ثم قالت: «ستنظر إليّ بجمود كالعادة وتقول لي أن الوقت متأخر جداً على إعادة التفكير.»

تصلبت ملامح ريد. يبدو أنها ستعطي رأياً آخر حول انطباعاته عن العالم المحيط. «وهل أعدت التفكير؟»

رأت نظرته الباردة وارتجف فمها ووضعت يدها على بطنها وأجابته بشكل قاطع: «لم أعد التفكير بمعنى الكلمة. أنا أريد هذا الطفل ولكن، لا أعرف إن كنت سأصبح أماً جيدة له.»

رأى ريد تعابير الحب القوي على وجهها فعرف أن طفله سيحظى بحياة أفضل بكثير من حياته. فقال لها وهو يشير بكلماته بشكل واضح: «ستكونين أماً رائعة.»

www.rewity.com ريما

فوجئت بدعمه لها فنظرت إليه بتأمل. «أنت لا تقول لي ذلك لتجعلني أفضل حالاً. أليس كذلك؟»

أجابها: «أنا لا أقول لك كل مرة ما تودين سماعه مني، بل أقول لك الحقيقة دائماً.»

شعرت بالراحة لكلامه، وزالت عنها الشكوك. فاستطاعت أن تسترخي من جديد. قالت له: «شكراً.»

«لا داعي للشكر.» وأضاف بصوت خافت: «أنا متعب جداً. سوف أستحمّ وأعود إلى السرير.»

راقبته وهو يبتعد عنها، وعادت لتفكر من جديد لو انه يعتقد أيضاً أنها زوجة رائعة. لكنها قالت لنفسها، لا يمكنك الحصول على كل شيء.

المشكلة هي أنها لا تستطيع إلا أن تتمنى المزيد. فكرت بذلك بعد ظهر أحد أيام شهر حزيران/يونيو. كان يوماً جميلاً، فذهبت إلى عملها سيراً على الأقدام. والآن بدأت طريق العودة إلى منزلها. نظرت إلى بطنها المستديرة وابتسمت. كانت جدتاها تقولان دائماً أن حملها يبدو كزهرة متفتحة.

ولم تكن قادرة على عدم الاعتراف باهتمام ريد. في الواقع، بدا اهتمامه زائداً في عدة مناسبات. وموضوع غرفة الطفل أفضل مثل على ذلك. فما أن اختارت الغرفة التي تريد تحويلها للطفل، حتى طلب منها عدم رفع أي شيء ثقيل. ثم اكتفى منها باصدار التعليمات، وقام هو بإخلاء الغرفة بما في ذلك الإضاءة والصور. وما أن أصبحت الغرفة فارغة حتى طلب منها الذهاب لزيارة

عمتها، لأن رائحة الدهان مضرة بالجنين، وبقي هو وحده في المنزل يكمل طلاء الجدران والسقف. كانت تعرف أن كلامه صحيح، ولم تعارضه. ولكن، حين رأته يصر على تنظيف الأرض وتلميعها بنفسه، ظنت أنه يتمادى كثيراً في الحرص عليها. بعد ذلك أحضر زيتاً خاصاً وعالج الأرضية بنفسه، ووقفت هي من جديد تصدر إليه التعليمات. وأصر أيضاً على دفع تكاليف أي أثاث جديد تراه مناسباً لإكمال غرفة نوم الطفل.

وكان مولعاً بتقديم الهدايا. ففي الفترة الأخيرة، كان يحضر الهدايا أسبوعياً، إما لها وإما للطفل أو لهما معاً. وجاء منذ حوالى شهر بأحدث أجهزة الاتصال الخاصة بالصمم. وقال لها: «بهذه الطريقة، لن تتوقفين عن عملك للرد على الهاتف، خاصة إن كنت مشغولة مع الطفل.» وبالأمس، أهداها جهازاً يصدر إشارات. إنه يشبه أجهزة الإرسال، حيث يوضع جزء منه في غرفة الطفل لاستقبال الصوت. وهي تحمل معها علبة صغيرة كالتي عملها الأطباء لاستقبال نداء الحالات الطارئة. وبذلك تتمكن من رؤية الضوء يلمع في جهازها، إن بكى الطفل في غرفته.

تنهدت وكأنها تحمل عبئاً ضخماً. فرغم علمها أنه يحاول بكل بساطة مساعدتها، إلا أن كثرة هداياه أتعبت أعصابها. فتمتمت. «أنا لا أريد منه شيئاً سوى الحب.» لكن ريد كان مصمماً على ألا يقع في الحب، وإن كانت قد عرفت عن هذا الرجل شيئاً، فهو التزامه برأيه حين يصمم عليه.

توترت أعصاب سيلينا ما أن اقتربت من المنزل حيث لاحظت وجود شاحنة خضراء كبيرة أمام باحة منزلها.

www.rewity.com

اختفت من رأسها أفكارها حول ريد. فهذه الشاحنة ملك لريكفورت جيرار. طبعاً لم يكن يدعوه أحد بريكفورت. فقد كان يفضل اسم رايدر، وقد احترم الناس رغبته، لأنهم يحترمونه. وكانت سيلينا تعرف أيضاً أن كثيراً من الناس يخافونه، شأنها هي، وإن لم ترغب في الاعتراف بأنها تخافه أيضاً. فقد كان رجلاً ضخماً، عضلاته مفتولة، من شدة العمل في مزرعته. لكنه رجل هادىء لا يحب المشاكل. فهي تعرف أنه رجل طيب وصادق. في الواقع، كانت تحبه رغم كل شيء.

لكن ما دفع أعصابها إلى التوتر، هو أنه يوم الخميس. واميلي سوير تحضر هذا اليوم لتنظيف المنزل وقد تكون هناك حتى الآن. وجميع سكان البلدة يعرفون أن عائلتي جيرار وسوير متخاصمتان. في الواقع، صدف أن رأت سيلينا عدداً منهم يعبر الشارع. حتى لا يضطر للسير قرب شخص من العائلة الاخرى لكن الآن إميلي ورايدر في منزلها. معاً ووحدهما.

زادت سيلينا سرعة خطواتها، فوصلت إلى المنزل. في نفس الوقت الذي كان ريد يوقف سيارته أمام المنزل. رأت رايدر ينهض من أحد المقاعد الهزازة الموجودة على شرفة المنزل. خرجت إميلي من باب المنزل في نفس الوقت الذي اجتازت فيه سيلينا بوابة الحديقة. كانت تحمل حقيبتها ومن الواضح أنها ترغب بمغادرة المنزل. كانت تعابير وجهها جامدة وصلبة. مرت قرب رايدر دون أن تنظر إليه ونزلت على الدرج حتى وصلت إلى سيلينا التي تقف في منتصف الممر.

ابتسمت سيلينا تشجيعاً حين بدأت اميلي تشير ببطء يدل على أنها جديدة في هذا المجال من التخاطب. وقد تحدثت أيضاً وتعبير الاعتذار على وجهها. «لم يستطع جوش الحضور اليوم لجز الأعشاب، فلديه الكثير من الواجبات المدرسية. لكنه سيحضر غداً بالتأكيد. وسوف ينتزع الأعشاب الضارة دون مقابل.»

فقالت سيلينا: «هذا يوم مناسب. وأنا أصر على دفع أتعابه عن أي عمل يؤديه هنا.» وقبل أن تكمل جملتها الأخيرة، رأت اميلي سوير تستدير بغضب. لقد انضم إليهما رايدر. من الواضح أنه قال شيئاً أزعج اميلي. لاحظت سيلينا أن ريد انضم إليهم أيضاً، فأشارت له بسرعة تسأله عن الحديث الذي يدور بين رايدر واميلي.

أشار ريد لها أن رايدر قال بأنه متأكد من أن جوش كان موجوداً قرب النهر بعد ظهر اليوم. وقد ردت عليه اميلي بأن تصرفات ابنها ليست من شأنه.

لمحت سيلينا النظرة العدائية التي وجهتها إميلي إلى رايدر قبل أن تستدير سيلينا نحو ريد. وعادت اميلي لتقول وتشير باعتذار بالغ: «في الحقيقة إن ابني يمر بظروف صعبة. يبدو أنه حاول التقرب من آمي باكلي لكنه لم يفلح، وقد تغير مزاجه بسبب ذلك. لكنه سيكون هنا غداً. أعدك بذلك.»

فقالت سيلينا: «لا بأس.»

ردت اميلي بامتنان: «شكراً للّه.» ثم تابعت طريقها إلى الشارع دون أن تلتفت نحو الرجل الذي سبب لها الازعاج وعدم الراحة.

www.rewity.com

تحول اهتمام سيلينا نحو رايدر. الذي كان يراقب اميلي ببرود تام. كانت تحب اميلي ورايدر لكنها لم تكن لتدعوهما معاً إلى مكان واحد. رأت اهتمام رايدر يتحول نحو ريد. فأدركت أن ريد قال له شيئاً.

رأت رايدر يقول لريد، وهو يتحرك تجاه الشرفة: «أحضرت هدية للطفل. قل لسيلينا انها هدية مني كي أشكرها على اهتمامها بوالدتي وتخفيف آلامها، خاصة في الأشهر الأخيرة، حين تطورت حالة مرض السرطان عندها.»

نظرت سيلينا إلى زوجها. توقعت أن ترى نظرة عدم موافقة في عينيه. لكن تعابيره بقيت مهذبة وهو يشير لها بكلمات رايدر. من الواضح انه يريدها أن تفهم كل ما يقوله الرجل.

وردت سيلينا: «أنا مسرورة لأني استطعت مساعدتها.»

ابتسم رايدر فاسترخت ملامح وجهه. «ستكونين أماً رائعة.»

شكرته سيلينا وهي تفكر في أنه يبدو رجلاً وسيماً حين لا يكون غاضباً وما لبث أن وضع قبعته على رأسه، وودعهما بسرعة ثم رحل.

اتجهت سيلينا وريد إلى الشرفة ليجدا سريراً خشبياً صغيراً. كان صنع اليد بلون الكرز الداكن. قالت سيلينا وهي تنحني لتلمس الخشب الأملس: «إن رايدر مشهور بأعمال النجارة. إنها هوايته المفضلة. إنه جميل جداً.» نظرت إلى ريد لترى إن كان يوافقها الرأي.

«إنه جميل جداً.» واقترب منها وأمسك بذراعها ليساعدها على الجلوس في وضع مستقيم. كانت

تعابيره كئيبة. «من الواضح أن اميلي تعاني بعض المتاعب مع ابنها جوش.»

فأجابته سيلينا: «أنا متأكدة أنها قادرة على حلها. إنها قريبة جداً من ولدها. فقد مرا بكثير من الظروف الصعبة من قبل.»

حدق ريد فيها. «أريدك أن تعرفي أنني دائماً موجود إذا احتجت أية مساعدة في تربية طفلنا.» ودون أن ينتظر إجابتها، حمل السرير وتوجه به إلى المنزل.

ارتجفت نقن سيلينا. كان يريدها أن تعرف أنه سيحضر إن احتاجته لأنه لن يكون معها. تصلبت كتفاها، إنه الاتفاق الذي عقدته معه. شعرت برفسة الجنين وكأنه يعترض. مسحت على بطنها برقة. تحدث طفلها الذي لم يولد بعد: سنكون وحدنا على ما يرام.

شعرت برغبة ملحة في دخول المنزل لتطلب من ريد الرحيل في نفس الليلة. لكنها تعرف أنه سيرفض. فهو يعتبر نفسه مسؤولاً عنها حتى تلد ويتأكد من أن الطفل بخير وتستعيد هي قوتها. كما أنها، لم تكن بمزاج جيد لتجلس وتفسر لعائلتها سبب انهيار زواجها قبل ولادة الطفل ثم فكرت لو انها لم تسمح لنفسها أن تقع في حبه وأن تبدأ بالتمني للحصول على أشياء لن تحدث أبداً، لما وقعت في هذه الحيرة. يجب أن تكون مسرورة لأن ريد رجل طيب وأنه يساندها ويعينها أثناء حملها. إنها ترغب بنسيان كل ما عدا ذلك. بهذه الأفكار، أقنعت نفسها ودخلت إلى المنزل.

www.rewity.com

الفصل الثاني عشر والأخير

جلست سيلينا على الكرسي الهزاز الموجود على شرفتها الأمامية. كان يوم أربعاء من أيام شهر تموز - يوليو الحار قبل موعد ولادتها بأسبوع ونصف. كانت ترتدي ملابس العمل حين شعرت بانقباض قوي. وقد شعرت بانقباضات خفيفة في الصباح لكنها كانت قد شعرت بمثل ذلك من قبل ولم تدل على قرب موعد الولادة. لذلك لم تذكر الأمر لريد. ولكن ما أن وصل الألم إلى ذروته هذه المرة، حتى عرفت أن الطفل سيولد اليوم.

كان ريد قد غادر المنزل حين شعرت بالانقباض. أراد أن يمر على منزل عائلة ستيوارت قبل التوجه إلى العيادة. فجلست لتعرف الوقت الفاصل بين الانقباضة والاخرى. مرت عشرون دقيقة كاملة. كانت الانقباضات متباعدة ولم ترغب بالاتصال بريد قبل الموعد بكثير، قررت ذلك ثم فكرت بالاتصال ببريندا لتخبرها بأنها لن تتمكن من الذهاب إلى العمل وتوجهت لتغير ملابسها وارتداء ثوب قطني خفيف. عادت لتجلس على الشرفة ومعها الصوف الذي تحوكه.

جلست على الكرسي الهزاز تستمتع بهواء الصباح المنعش الدافىء، وتذكرت أن دورين تروي تستخدم المكنسة الكهربائية بالداخل. «أشياء غريبة تحدث في هذه البلدة.» تمتمت في نفسها. فقد تزوجت اميلي سوير،

وتوقفت عن الخدمة في المنازل حتى تهتم بمنزلها. وبما أن الطبيب العجوز لا يحتاج إلى دورين كل يوم، فقد بدأت بزيارة عائلة بريسكوت مرة في الأسبوع لتنظيف منزلهم.

عبست سيلينا وهي تفكر بزواج اميلي. فهي وجميع سكان سميثشاير مذهولون من هذا الزواج الغريب. لقد تزوجت اميلي سوير من رايدر جيرار. في الواقع زواج اميلي أعطى الأمل لسيلينا من جديد. لكن ما لبث أن تلاشى هذا الأمل ببطء. الأشياء الغريبة تحدث دائماً، اعترفت سيلينا بكآبة، لكن يبدو أن وقوع ريد في حبها ليس من بين هذه الأشياء.

شعرت بانقباض آخر فعادت للتركيز من جديد. نظرت إلى ساعتها عشر دقائق فقط تفصل بين الانقباضين الآخرين. شعرت بلمسة على كتفها، فنظرت إلى الأعلى ورأت دورين تقف قربها.

قالت المرأة وهي تشير لها بسلطة واضحة: «من الأفضل أن نتصل بريد الآن.»

عرفت دورين فور وصولها في الصباح سبب عدم ارتداء سيلينا ملابس مناسبة للعمل. وفي الساعات الثلاث الماضية كانت تدخل وتعود من جديد لتنظر إلى سيلينا كما تفعل الدجاجة مع فراخها الصغار. اعترفت سيلينا بأن وجودها أفضل من وجود ريد. على أية حال، دورين على حق. حان الوقت للاتصال بزوجك.

جلس ريد خلف مقود سيارته يحاول التركيز على الطريق وهو ينقل سيلينا إلى المركز الطبي في غرينفيلد. سيتولى

www.rewity.com

الطبيب العجوز مهمة التوليد، فقد اتصل به ريد وهو في طريقه إلى هناك.

خطط ريد في وقت سابق كي يقوم الطبيب أو دورين بنقل سيلينا إلى المركز الطبي. ويلغي هو مواعيده الأخيرة لكنه يبقى ليعاين بقية المرضى الموجودين في العيادة وبدلاً من ذلك، قال لسيلينا حين اتصلت به، أنه سيحضر إلى المنزل حالاً ليأخذها بنفسه إلى غرينفيلد. كان يعاين جون كولبي في كشف طبي روتيني. فتوقف وطلب من الرجل أن يأخذ موعداً آخر في وقت لاحق، وخرج إلى غرفة الانتظار ليتأكد من عدم وجود حالات طارئة ثم اعتذر من الجميع وغادر.

نضحت كفاه عرقاً. ورغم ثقته بقدرته على مساعدة سيلينا على الولادة بنفس الهدوء الطبي الذي يتعامل به مع أية ولادة أخرى، إلا أنه لم يشعر بهذا التوتر من قبل، حتى في الحالات التي تهدد الحياة.

نظر إليها، كانت تضغط بيديها على أسفل بطنها. لمس كتفها ليجذب اهتمامها: «هل كل شيء على ما يرام؟» سألها حين نظرت إليه.

«كل شيء على ما يرام.» أجابته وابتسمت له بلطف، ثم اختفت الابتسامة وظهرت على وجهها تعابير الألم حين بدأت انقباضة أخرى.

توقف مرة أخرى في مكان جانبي ونظر إليها من جديد. وما أن زال الانقباض حتى لمس كتفها من جديد. «هل تستطيعين أن تعرفي وجود أية تعقيدات إذا لمست جسدك أنت؟» سألها وهو يشير لها ليتأكد أنها فهمته.

أجابته: «أعتقد ذلك.»

تحول اهتمامه بسرعة إلى القيادة. لقد بدا وكأنه يعتبر تشخيصها بنفس مستوى إية أداة طبية أخرى. حسناً، لا يستطيع إنكار قدرتها على تحديد مواقع العلة. ذهل من نفسه حين أدرك أنه بدأ بقبول الفكرة والاقتناع بها. فقال لنفسه: لقد سمحت لهذه الولادة بالتأثير على أفكاري كثيراً.

وكأنه أراد دليلاً على ذلك، فقد وجد نفسه مذعوراً حين رآها تلهث من الألم. أن يكون مهتماً أكثر من العادة أمر طبيعي جداً. فهو في النهاية يتحمل مسؤولية كبيرة نحوها.

نظرت سيلينا إلى ذقن ريد المنقبض. لقد توقعت منه أن يتعامل مع ولادتها بنفس الهدوء والقدرة التي يتعامل بها مع مرضاه الآخرين. بدل ذلك، بدا لها كوالد مضطرب ينتظر ولادة طفله. كأن شخصاً متوتر الأعصاب، وليس مسروراً بما يحدث. قالت له وهي تكره أن تشعر بانزعاجه منها: «ربما كان يجب أن تطلب من الطبيب نقلي إلى المستشفى.»

فكر ريد في أن الاعتماد على الطبيب كلياً في هذه الولادة أمر نكي فعلاً. لكن داخله، جزء منه كان يشعر برغبة كبيرة في حضور الولادة. أوقف السيارة إلى جانب الطريق. فصرخ قائلاً وهو يشير بكلماته: «قلت لك سأكون قربك وقد عنيت ما أقوله.» ودون أن ينتظر جوابها، قاد سيارته من جديد نحو المستشفى.

لمحت سيلينا في عينيه الرغبة القوية في حمايتها. لكن سرورها كان يمكن أن يكون أكبر لو أنها لم تعرف أن إصراره على البقاء قربها بسبب شعوره بالمسؤولية فقط.

www.rewity.com ريما

فقالت لنفسها بطريقة منطقية، على الأقل سيحظى الطفل بأفضل عناية طبية متوفرة.

تساءل ريد من جديد بعد حوالى ثلاث ساعات إن كانت الحكمة تقتضي ترك الأمر كله للطبيب العجوز. فقد جلس في غرفة الولادة معه وحاول التركيز على صحيفة طبية كانت معه. كان الطبيب يجلس بهدوء يحتسي فنجان قهوة ويشاهد التلفاز. لكن ريد لم يستطع الاسترخاء مثله. كان يشعر بألم سيلينا وكأن الألم في جسده هو.

ومع أنه يعرف بحكم دراسته الطبية أنها بخير هي والطفل، إلا أنه لم يتمكن من إبعاد القلق عن ذهنه.

فكر كثيراً بإمكانية حدوث تعقيدات. وشعر بقشعريرة باردة من مجرد التفكير بحدوث شيء سيء لسيلينا. توترت ملامح وجهه وهو يعدها أن يساعدها ويبعد أي مكروه عنها. لم يعد أحداً بذلك من قبل. لأنه كطبيب يعرف أنه وعد أحمق. فأشياء كثيرة تحدث للإنسان ولا يستطيع السيطرة عليها. ولمعت في رأسه فكرة تعجب منها فهو يود طوعاً لو يقدم لها حياته.

وبخ نفسه لأنه سمح لها بالسيطرة على أفكاره بهذا الشكل وعاد ليركز على المجلة الموجودة أمامه. لكن عقله رفض التركيز على الكلمات. كف عن محاولاته ووضع المجلة جانباً ونهض. لاحظ أن سيلينا كانت تلهث فتحرك بسرعة نحو السرير. ماذا حدث لشعوره البارد الذي درب نفسه على الاحساس به؟! سأل ذاته بعد أن وجد نفسه يتمنى التخفيف من آلامها.

أغمضت سيلينا عينيها لتركز على التنفس بطريقة

صحيحة والاسترخاء بين الانقباض والآخر. وفي ذروة شعورها بالألم، أحست بيد تضغط بنعومة على بطنها. شعرت بدفء يغمر جسمها. إنها يد ريد، تعرف ذلك دون أن تفتح عينيها. نظرت إليه بعد أن خف الألم، فتحول الدفء الذي شعرت به إلى قشعريرة. وقالت له: «ليتك لا تبدو كالمذنب هكذا. ما أمر به من ألم أمر طبيعي جداً. وقد اخترت أنا ذلك.»

نظر ريد إليها وهو يتمنى أن يكون الشعور بالذنب هو مصدر إحساسه تجاهها وهذا صحيح، أكد لنفسه ذلك، ثم اعترف بصوت عال: «أكره أن أراك تتألمين.»

نظرت سيلينا إلى بطنها وقالت مؤكدة: «الأمر يستحق العناء.»

تساءل ريد بعد عدة ساعات إن كانت ما زالت تعتقد أن الطفل الذي يخرجه الطبيب يستحق المعاناة التي مرت بها. لقد شعر بألم نفسي كبير حين نظر إليها قبل أن يبدأ بمساعدة الطبيب على إخراج الطفل، فقد رآها متعبة جداً، شاحبة اللون وتتصبب عرقاً.

وقال الطبيب بابتسامة كبيرة: «إنه طفل.»

نظر ريد إلى الطفل الذي وضعه الطبيب بين يديه. ثم رفعه عالياً كي تتمكن سيلينا من رؤيته، وهو يقول: «رزقت بطفل.»

«طفل؟» كررت وراءه بابتسامة متعبة لكنها سعيدة.

رأى الابتسامة على وجهها فعرف الإجابة عن سؤاله. من الواضح أنها تعتقد أن هذا الطفل يستحق ما عانته من أجله.

«أهلاً بك إلى العالم، أهلاً بك في سميثشاير أيها الرجل الصغير.» قال الطبيب ذلك، ثم أردف وهو يبتسم لسيلينا بود

www.rewity.com

قبل أن يعود ويجلس قرب نهاية الطاولة: «والآن، سأهتم أنا بالألم.»

تمتم ريد للصغير وهو يعطيه لإحدى الممرضات التي أخذته لتنظفه ووزنه: «أنت طفل محظوظ.»

«ثلاثة كيلو ونصف.» قالت الممرضة بصوت عالٍ بينما قامت ممرضة أخرى بتدوين المعلومات على بطاقة المولود. ثم استدارت مبتسمة نحو ريد وقالت: «مبروك يا دكتور. ما هو شعورك كوالد لأول مرة؟»

فأجابها ريد بصدق: «خائف.» وما لبث أن ملأه شعور مفاجيء بالفخر والكبرياء حين وضعت الممرضة المولود النظيف بين يديه. إنه ابني. لا، ليس ابني. صحح لنفسه. إنه ابن سيلينا لكني إذا احتاجت هي أو الطفل شيئاً، سأعمل على تأمينه لهما.

ابتسمت سيلينا للطفل حين وضعه ريد بين ذراعيها. ثم تحول اهتمامها من جديد إلى ريد. كان يبدو مرهقاً لكنه كان يبتسم للممرضات. وقد استطاعت أن تفهم معظم ما يدور بينهم فعرفت أنهن يضايقنه لأنه أصبح والداً. لكنها كانت تعرف هذه الابتسامة. إنها مجرد قناع. لأنها لا تصل إلى عينيه. ربما كان مسروراً لنهاية هذا الجزء ويتمنى نهاية الأشهر القادمة بسرعة أيضاً.

نظرت من جديد إلى الطفل فشعرت بدفء. في هذه اللحظة، لم تهتم إن كان ريد بريسكوت سيتخلص منها. فمعها الآن طفل جميل بكامل صحته، وهذا هو كل ما يهمها.

ذرع ريد غرفة الجلوس جيئة وذهاباً وهو يفكر: لقد

حان الوقت. إنه أصعب عمل قام به في حياته. لكن إنهاءه لن يجعل الأمور أسهل بالنسبة له.

وقفت سيلينا في غرفة الطفل بالطابق العلوي، تنظر إلى صغيرها النائم. وقد بلغ اليوم شهره الثالث. له عينا ريد الزرقاوان. وقد منحته اسم والدها. كينيث. كانت تشعر بحبور من مجرد النظر إليه.

«لكن الشعراء والفلاسفة يقولون دائماً مع كل فرح يشعر الإنسان ببعض الألم.» تمتمت بهدوء. «كنت أتمنى أن يكونوا على خطأ، لكنهم على صواب على ما أعتقد.»

تخيلت ريد فجأة. لا تستطيع أن تنكر إحساسها بعدم راحته منذ ولادة الصغير. كان يحاول جاهداً إخفاء تعبه. لكنه كان قربها دائماً يساعدها بكل شيء منذ عودتها من المستشفى. والأمر الوحيد الذي لم يتحمس له هو العلاقة بينهما. فلم يتقدم بأية بادرة منها وهذا أمر ولد في نفسها شعوراً بالاحباط، اعترفت بذلك، وبعض الغضب أيضاً. تنهدت بندم. «كنت أتمنى أن يتعلم الاهتمام بنا لدرجة أنه يود البقاء معنا.» قالت للصغير كينيث وهي تلمس خده بنعومة. «لكن أخشى أنه يشعر وكأنه واقع في مأزق. من الواضح أني استنفدت جميع طاقات درهم الحظ الذي وجدته. لكني لست نادمة أبداً. أنت معي، وقد حان الوقت لإعطاء ريد حريته.» تركت غرفة الصغير وذهبت للبحث عن ريد.

استدار ريد ليواجهها حين دخلت غرفة الجلوس.

«أعتقد أن الوقت حان كي تغادر.» قالت له الجملة التي تمرنت عليها طوال النهار. وقد استغرق بها الأمر حتى

www.rewity.com

الظهيرة لتتمكن من قول جملتها هذه بصوت مرتفع. لكن الكلام الذي هيأته قد اختفى. وقد أرادت أن تنهي هذا الاتفاق.

ذكر ريد نفسه بأنها كان من الممكن أن تطرده في وقت سابق. لكنه لم يشعر بهذا الألم من قبل. اختفى الكلام الذي هيأه بدوره وأشار لها: «هل تريدنني أن أرحل الليلة. أم يوافقك أن أبقى للغد؟»

ازدردت سيلينا الغصة التي تجمعت في حلقها. لقد توقعت أن يرحل، لكنها لم تفكر في أن يكون رحيله سريعاً هكذا. يبدو وكأنه يتوق للابتعاد عنها. حسناً إن كان هذا ما يريده، فستكون مسرورة لرحيله. «يمكنك البقاء إلى الغد. لكنك حر في الرحيل هذه اللحظة إن كنت تفضل ذلك.» قالت له بهدوء.

هز ريد رأسه. «سأنام الليلة في غرفة الضيوف. وغداً سأنقل حاجياتي إلى منزل الطبيب العجوز.»

تألمت من كلامه فهو لا يطيق تمضية ليلة أخرى في سريرها. وشعرت برغبة ملحة في جمع حوائجه ورميها في الخارج. لكنها أرادت أن تنهي الاتفاق بكبرياء فقالت: «حسناً.» ثم استدارت وصعدت إلى غرفتها.

أرادت أن تصرخ أو أن ترمي شيئاً في وجهه. لكنها عوضاً عن ذلك، ذهبت لرؤية طفلها. «الحلو والمر معاً.» تمتمت وهي واثقة من أنها حصلت على الاثنين معاً هذه المرة.

تركت غرفة الصغير وتوجهت إلى خزانة البياضات لتحضر أغطية نظيفة ثم عادت إلى غرفة الضيوف لترتب له السرير.

في الطابق السفلي، وقف ريد في منتصف غرفة الجلوس. لم يتحرك من مكانه منذ تركته سيلينا. وفجأة توجه نحو السلم. وحين وصل إليه صعد مسرعاً كل درجتين في قفزة واحدة، فوجد نفسه في غرفة الضيوف.

توقفت سيلينا عن ترتيب السرير. فقد شعرت بوخزة خفيفة في مؤخرة رقبتها جعلتها تستدير نحو الباب. كان ريد يقف هناك.

فكر ريد في الصعود إليها ليقول أنه ينوي رؤية الصغير باستمرار، لأن الطفل هو ابنه، كما هو ابنها. لكن الكلمات توقفت في حلقه ما أن استدارت سيلينا نحوه.

«ستكون الغرفة جاهزة بعد دقائق.» قالت له سيلينا. رغم أنها أرادت أن تطلب منه تحضير سريره بنفسه. لكنها لم ترغب في أن يعرف مدى ألمها. فأمرت نفسها كوني هادئة وباردة الأعصاب. ومع ذلك خشيت أن يظهر الألم الذي تشعر به على وجهها. فحولت اهتمامها بسرعة إلى السرير.

قل لها أنك تريد رؤية ابنك باستمرار أمر ريد نفسه من جديد. فكر في الاقتراب منها ولمس كتفها لتنتبه له من جديد. لكن مجرد التفكير في لمسها يهدد قدرته في السيطرة على نفسه. فوقف يراقبها بدل ذلك.

أمرت سيلينا نفسها: عليك بالمرور قربه وكأنك لا تهتمين لوجوده. حين انتهت من إعداد السرير واستدارت نحوه. لكن ساقيها رفضتا الحركة. فما زال يقف في باب الغرفة يسد عليها الطريق. وفكر في أنه يقف هناك لأنه لا يرغب في البقاء معها في نفس الغرفة، مما زاد آلامها.

www.rewity.com

تصلبت كتفاها بكبرياء وقالت له بجفاء: «سأغادر الغرفة. يمكنك الدخول الآن.»

توترت أعصاب ريد وأمر نفسه من جديد: قل لها أنك تود رؤية ابنك باستمرار. لكنه ما أن فتح فمه ليتحدث حتى سمع ما كان يفكر به منذ أسابيع فقال: «أريد أن أبقى.»

وقفت سيلينا متجمدة. خائفة من أن تصدق ما رأته يقوله. ثم عادت لتفكر بكينيث. هو سبب رغبته في البقاء. لا علاقة لها بطلبه هذا فقالت: «أنت تريد البقاء معي فقط لترى ابنك.»

أراد ريد بكبريائه أن يجعلها تصدق أن الصغير هو سبب بقائه. لكنه لم يستطع. فسيلينا تستحق المجازفة. فانقبض فك ريد وبدأ يتحدث ويشير في نفس الوقت. «أحب إبننا، لكنه ليس السبب الوحيد لرغبتي في البقاء معك. أعرف أنك لا تعتبرينني زوجاً جيداً. لكني أحبك و أريد أن أبقى معك.»

لم تكن هذه الكلمات سهلة عليه. ليس لأنه وعد نفسه بألا يطلب من أحد قط أن يشاركه حياته، أو لأنه أكد لنفسه أنه أذكى من أن يقع في حب أحد. لكن بل طلب ذلك فعلاً منها وأكد لها حبه في نفس الوقت.

راقبته سيلينا يقف قرب الباب وقدماه متباعدتان وظهره متصلب، ففكرت أنه يشبه رجلاً مستعداً للانفجار وقد وضع يديه في جيبيه وكأنه يقول إنه اعترف بكل ما في نفسه والقرار يبقى لها في النهاية. قال إنه يحبها، وأرادت هي أن تصدقه أكثر مما أرادت أن تصدق أي شيء آخر في حياتها.

لكنها لم تكن من النوع الذي يهرب من الحقيقة. «لم تكن ذلك الزوج اللطيف منذ عودتي من المستشفى.» قالت له: «في الواقع أنت لم تلمسني أبداً.»

ظهر تعبير بتأنيب الضمير على وجه ريد. «كنت أخشى إن اقتربت منك مرة أخرى ألا أتمكن من الرحيل من هنا أبداً. وأنا وافقت منذ البداية على إنهاء الزواج متى أردت أنت.»

وقفت سيلينا مذهولة. أرادت أن تصدق أنه يود البقاء بسببها وليس بسبب ابنهما فقط. لكنها ما زالت خائفة.

شعر ريد بالاحراج وهو يراقبها تقف مكانها لا تتفوه بأية كلمة. كان يبدو كالغبي. من الواضح أنها لا تبادله شعوره وأنها تفكر بطريقة للتهرب. «آسف لقد أزعجتك بكلامي. سأجمع حاجياتي وأرحل الليلة.»

شعرت سيلينا أن فكرة رحيله هذه المرة أكبر من أن تتحملها. فصرخت: «كلا!» واندفعت نحوه بعد أن استدار ليرحل. أمسكته بذراعه. فاستدار ووقف مكانه. «أمضيت وقتاً طويلاً وأنا أحاول إقناع نفسي أنك لن تحبني أبداً وأني أحتاج فقط إلى ما يؤكد أفكاري.»

حدق في عينيها وقال بصوت مرتفع: «أحبك سيلينا.» ثم أشار لها بحركات حادة تظهر صدق تعابيره: «سأفعل أي شيء يؤكد لك ذلك.»

لمحت في عينيه الألم الذي تشعر هي به فقالت: «لقد فعلت.» ورفعت جسدها لتقبل ذقنه. «أنا أحبك يا دكتور بريسكوت وأريدك إلى جانبي دائماً.»

تنهد ريد وقد شعر بالراحة وضمها إلى صدره بقوة. لقد

www.rewity.com ريما

شعر بمتعة كبيرة من مجرد الوقوف قربها. وأحس بعمق الألم الذي نتج عن بعدها عنه.

حرارة جسده أيقظت حواسها وبعثت فيها شعوراً بالسعادة. «كينيث نائم.» قالت له وهي تقبل ذقنه. «وأنا وأنت نحتاج إلى بعض السمر.»

أراد ريد أن يصرخ من الفرح الذي شعر به حين عرف أنها تريده حقاً في حياتها، وبدل ذلك ابتسم لها ببساطة وقبلها قائلاً: «أحب لمساتك.»

استلقت سيلينا قرب ريد بعد ذلك متعبة إنما مسرورة بحبه لها. كانت متأكدة من أن شعورها بالراحة والفرح هذه الليلة لا يمكن أن تشعر به أية امرأة سواها. يبدو أن الحب أثمن بكثير من كنوز الذهب الخالص.

وفكرت غداً سأحضر صندوقاً خاصاً للاحتفاظ بقرش الحظ. قطعة النقود هذه تستحق مكاناً خاصاً، خاصاً جداً.

رفع ريد جسده واتكأ على مرفقه ليراقبها بنظرة كسولة. «خذي قرشاً وقولي لي بماذا تفكرين.»

نظرت إليه. «من المضحك أنك تقول هذا. كنت أفكر بالقرش.»

عبس بارتباك. «أنت تفكرين بقرش؟»

فأجابته: «إنه قرش مميز جداً. أفكر بشراء صندوق خاص له والاحتفاظ به.»

رفع حاجبيه متعجباً. «لا بد أنه قرش مميز جداً.»

لمست ذقنه باصبعها وقالت بنعومة: «أنت هو المميز جداً.»